الفصل العاشر

النهروان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الثاني)

١ ـ كورة شاذ قباذ

بحثنا في الفصل المتقدم عن الكورة الاولى من كور منطقة النهروان ، وهي « كورة شاذ هرمز » ، ونبحث في هذا الفصل عن الكورتين الاخريين ، وهما « كورة شاذ قباذ » و « كورة ارندين كرد » . اما « كورة شاذ قباذ » فطساسيجها ثمانية ، وهي « طسوج روستقباذ » و « طسوج سلسل » و « طسوج مهروذ » و « طسوج جلولاء وجلتا » و « طسوج الذيبين » و « طسوج الدسكرة » و « طسوج البندنيجين » و « طسوج براز الروز » ، وهذه الكورة كما اسلفنا تشتمل على المنطقة الواقعة على جانبي نهر ديالى بين جبل حمرين والنهروان كما انها تشتمل على أراضي مندلي أيضاً . وكان معظم أراضي هذه الكورة يروى من نهر ديالى وذلك بواسطة الجداول المتفرعة من أمام السد الذي كان قد أقيم على مجرى نهر ديالى في جبل حمرين . ومما يؤيد أن معظم مياه نهر ديالى كان يجري من أمام هذا السد الى جهة بلدروز و « هور الشويجة » عن طريق منخفضات الروز كما تقدم شرحه[1] ، ان طريق خراسان العام الذي كان يمتد بين الدسكرة وجلولاء كان يعبر مجرى الروز عند « قرية الهارونية » على قنطرة ضخمة ذكر ياقوت انها عجيبة البناء كما ذكر ابن رسته انها مبنية بالحجر والرصاص[2] ، هذا فضلاً عن ان مقدار جباية الخراج من « طسوج براز الروز » (وهو الاسم القديم لمنطقة

(١) راجع البحث الذي تقدم عن سد نهر ديالى في الصفحة ١٥٩

(٢) راجع البحث الذي بني عن طريق خراسان العام الذي يخترق هذه الكورة

بلدروز الحالية) كان اكبر من جباية أي طسوج آخر في هذه الكورة ، ومما يدل أيضاً على أهمية منطقة « براز الروز » هـذه في ذلك الوقت ، من حيث موقعها ومن حيث توفر المياه فيها ، ان الخليفة المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ . = ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م .) اختارها من دون الاماكن الاخرى في كورة ديالى هذه لانشاء أبنية ملـكية فخمة فيها[١] .

وتشاهد آثار المجرى القديم في الجانب الشرقي لنهر الروز الحالي في أراضي المريجة المنخفضة ، فيمتد المجرى بموازاة الضفة الشرقية لنهر الروز ، ويعرف هذا المسيل في جوار بلدروز باسم « السرّ » . ويتصل هذا المجرى بذنائب وادي النفط حيث تتحد مياههما في مجرى واسع ، ثم تنصب في هذا المجرى مياه « كلال الجيزاني » الذي في منطقة مندلي ، وأخيراً تتجه جميع هذه المياه من المجاري الثلاثة المذكورة الى « هور الشويجة » الكائن شرقي الكوت ، والهور الاخير ينصب عند فيضه في دجلة جنوبي الـكوت . ولا تزال تشاهد تلول أثرية كثيرة في منطقة الروز الحالية ، ولا شك في أن هذه التلول بقايا القرى والمدن التي كانت على مجرى الروز القديم الذي كان يسحب معظم مياه نهر ديالى في ذلك الوقت . ومن أهم هـذه التلول « تل مخيريج » و « تل أبي مشمش » و « تل الأضباعيات » و « تل ابي زبيل » و « تل سيم » و « تل الاجرب » و « تل حليوات » و « تل أبي جيت » الواقعة على نهر التحويلة الذي يتفرع من الجهة الغربية لنهر الروز الحالي في الذنائب . ولا تزال في « تل مخيريج » بقايا دعامة او منارة قائمة تشاهد من مسافة بعيدة وسط الصحراء التي في ذنائب نهر الروز الحالي . وهناك عدة تلول أثرية الى غربي نهر الروز أيضاً وفي منطقة « بلدروز » الحالية نفسها من جملتها « تل لملوم » و « تل ابي مجارش » و « تلول الـكاوليات » و « تل مندك » . أما التلول التي في الجهة الشرقية من المجرى فاهمها « تل رسيم »

---

(١) راجع معجم ياقوت في مادة (براز الروز)

و « تلول ثلاث اشن » و « تل اصبيخي » و « تل بوره خان الـكبير » و « تل بوره خان الصغير » و « تل بقلي ، وتقع التلول الثلاثة الاخيرة في أراضي السعدة على نهر الشمسية الحالي الذي يتفرع من الجهة الشرقية لنهر الروز في الذنائب .

وفيما يلي تفاصيل جباية كل من الطساسيج الثمانية التي في كورة شاذ قباذ كما دوّنت في أوائل القرن الثالث الهجري نقلاً عن ابن خرداذبة وقدامة : ـ

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	مقدار الحنطة بالكر	مقدار الشعير بالكر	الدراهم
« طسوج روستقباذ » (ديالى فوق جبل حمرين)	—	—	١٠٠٠	١٤٠٠ الشعير والدخن	١٧٠٫٠٠٠(١)
« طسوجا سلسل ومهروذ » (الاسمان القديمان لمنطقة سلسل ومهروت الحالية)	—	—	٢٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٫٠٠٠
(طسوج جلولاء وجلتا(٢))	٥	٧٦	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠

(١) هذا ما أورده ابن خرداذبة أما قدامة فان المبلغ الذي ذكره ٢٤٦٫٠٠٠ درهم ، أي بزيادة ٧٦٫٠٠٠ درهم عما ذكره ابن خرداذبة .

(٢) « جلولاء » اسم بلدة على طريق بغداد ـ خراسان وهي أيضاً على حسب قول ابن عبد الحق اسم « نهر يمتد الى بعقوبا ويشق بين منازلها وعليه في وسطها قنطرة » . ولا شك في ان هذا النهر هو من جملة الجداول التي كانت تتفرع من أمام سد ديالى في جبل حمرين ولعله كان يسير في نفس الاتجاه الذي يسير فيه جدول خراسان الحالي . اما مدينة جلولاء فيظن انها كانت تقع الى جوار الموضع الذي تقع فيه مدينة قزلرباط الحالية ، وهناك كانت وقعة جلولاء بين المسلمين والفرس . واما جلتا فهي قرية على نهر جلولاء تقع على طريق بغداد ـ خراسان أيضاً . والارجح ان قريتي « باجسرى » و « بعقوبا » كانتا ضمن طسوج جلولاء المذكور ، كما ان من المرجح ان الاراضي الواقعة في ذنائب نهر خراسان الحالي كانت ضمن هـذا الطسوج أيضاً (حول باجسرا وبعقوبا راجع ما تقدم في الصفحة ٣٦٣ حاشية ٢)

«طسوج الذيبين» (منطقة الخالص)	٤	٢٣٠	٧٠٠[1]	١٣٠٠	٤٠ر٠٠٠
«طسوج الدسكرة[2]»	—	—	١٨٠٠	١٤٠٠	٦٠ر٠٠٠
«طسوج البندنيجين[3]»	—	—	٦٠٠	٥٠٠	٣٥ر٠٠٠
«طسوج براز الروز» (منطقة بلدروز الحالية)	—	—	٣٠٠٠	٥١٠٠	١٢٠ر٠٠٠
المجموع	—	—	١٠ر١٠٠	١٠ر٨٠٠	٦٧٥ر٠٠٠

٢ مجرى ديالى والنهروان

ويستخلص مما كتبه المؤرخون من العرب أن مجرى ديالى، الذي كان قد سدّ في جبل حمرين لتحويل مياهه من أمام السد الى جداول الري على ضفتي ديالى، كان

---

(١) هـذا ما أورده ابن خرداذبة اما قدامة فان الكمية التي ذكرها من الحنطة هي الف وتسعمائة كر، أي بزيادة ١٢٠٠ كر عما ذكره ابن خرداذبة .

(٢) يقع هذا الطسوج في المنطقة التي تقع فيها شهرابان الحالية، والدسكرة «قرية قرب شهرابان كانت تسمى دسكرة الملك لأن هرمز بن اردشير بن بابك كان يكثر المقام بها فنسبت الى الملك بذلك وبها آثار للفرس» (راجع المراصد ومعجم ياقوت في مادة دسكرة). وهناك نهر يسمى «نهر طابث» كان يروي هذه المنطقة، فقد ذكره ابن عبد الحق في المراصد وقال انه «نهر يأخذ من تامرماء (ديالى) عليه قرى وهو أحد أعمال طريق خراسان». ثم قال في مادة «شهرابان» ان شهرابان «مدينة صغيرة تحت باجسرى بطريق خراسان بقرب دسكرة الملك وطابث يجري في وسطها».

(٣) ان منطقة «البندنيجين» المذكورة تقع على ما يظن في الموضع الذي فيه اراضي مندلي الحالية، وقد جاء في معجم ياقوت ان البندنيجين «بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد وقيل ان البندنيجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان بل كل واحدة منفردة لا ترى الأخرى لكن نخل الجميع متصلة واكبر محلة فيها يقال لها باقطنايا وبها سوق ودار الامارة ومنزل القاضي ثم بوبقيا ثم سوق جبل».

ينحدر من منابعه في الجبال فيقطع جبل حمرين عند السد الذي أقيم هناك على مجراه ثم ينتهي الى النهروان عند بعقوبا ، وبذلك يكوّن حداً فاصلاً بين طريق خراسان الذي على الضفة اليسرى منه ومنطقة الخالص التي على جانبه الايمن . وكان يعرف هذا القسم باسم « نهر تامراء » ، كما ان النهروان بين بعقوبا ومدينة جسر النهروان صار يسمى « تامراء » أيضاً لاتصاله بنهر تامراء (ديالى) . وكان هناك فرع من فروع النهروان الغربية يعرف باسم « نهر ديالى » ، وهذا يتفرع من الضفة اليمنى للنهروان في نقطة تقع جنوبي مدينة النهروان بقليل وينتهي الى دجلة جنوبي مدينة بغداد .

وكان نهر تامرا ، الذي ينحدر من جنوبي السد الذي في جبل حمرين ، يصب في الضفة اليسرى للنهروان ، فيحمل بعض مياه الفيضان من خلال أبواب السد ، وذلك على حسب الحاجة وعلى قدر ما تسمح به ظروف الفيضان على ديالى والنهروان ، كما ان نهر تامرا هذا كان يقوم بوظيفة البزل الطبيعي للمياه الزائدة التي تتراكم في البساتين والأراضي الزراعية التي تقع على جانبيه والتي تروى من الجداول المتفرعه من أمام السد في جبل حمرين . وهذا يوضح لنا الأسباب التي أدت الى تسمية قسم النهروان الذي يمتد بين بعقوبا ومدينة النهروان باسم « نهر تامرا » حيث أصبح تتمة لنهر تامرا في هذا القسم فعلاً .

ومما يدل على انه كانت هناك فتحات في سد ديالى وان مياه ديالى الزائدة كانت تجري من تلك الفتحات الى مجرى « تامرا » لتنصب في النهروان ، قول دهقان بغداد لأبي جعفر المنصور عندما خرج يرتاد موضعاً يبني فيه مدينة ان ينزل في بغداد حيث تقع على نهر الصراة الذي يتفرع من نهر الفرات وينتهي الى دجلة وهي بين أربعة طساسيج ، « طسوجا قطربل وبادوريا » في الجانب الغربي و « طسوجا نهر بوق وكلواذى » في الجانب الشرقي . وقد أضاف الى ذلك قوله ان الموقع يمتاز بامكانية ايصال الميرة اليه بطريق دجلة والفرات ثم امكانية

نقل الميرة اليه من ارمينية واذربيجان وما يتصل بها بطريق تامرا . وكان يقصد بالشق الاخير ان ينقل الميرة بطريق نهر ديالى من الشمال حتى سد ديالى ومن ثم في وسط مجرى ديالى أيضاً، وهو نهر تامرا الذي يصب في النهروان قرب بعقوبا(١) .

٣ - « نهر ديالى » فرع من النهروان

أما نهر ديالى فكان، بوجود النهروان، يستمد المياه من الضفة اليمنى للنهروان من نقطة تقع على بعد ميل تقريباً من جنوبي « مدينة جسر النهروان » ، فيسير في الاتجاه الجنوبي الغربي ، أي بنفس اتجاه مجرى ديالى الحالي ، ثم ينصب في دجلة على مسافة حوالي خمسة عشر كيلومتراً من جنوبي مدينة بغداد ، أي قرب موقع مصب نهر ديالى الحالي ، لذلك فان مجرى ديالى الحالي الكائن بين مصب تامرا في النهروان وبين مخرج نهر ديالى من النهروان لم يكن موجوداً في ذلك الوقت حيث كان النهروان يجري في هذا القسم ، الامر الذي كان يسهّل فتح الفروع من ضفته اليمنى لارواء المنطقة التي بينه وبين دجلة الواقعة في جوار مدينة بغداد الشرقية . واليك ما كتبه ابن سرابيون في أوائل القرن العاشر الميلادي عن نهر ديالى هذا قال : « ويحمل من النهروان نهر يقال له نهر ديالى أوله اسفل الجسر بميل يمر بقرى وضياع ويصب في دجلة أسفل بغداد بثلثة فراسخ » . وكان نهر ديالى هذا بمثابة مصرف يأخذ مياه الفيضان الزائدة التي تتجمع في النهروان من القاطولين (القاطول الاعلى الكسروي وقاطول القائم) ومن نهر تامرا وفروعه التي تنتهي الى النهروان ومن الجداول التي تتفرع من نهر العظيم وتنتهي الى النهروان فيحمل هذه المياه المتجمعة في النهروان الى نهر دجلة ، وكان يسمى مصبه « فم ديالى » . ولا شك انه كان في صدر هذا النهر

---

(١) راجع معجم البلدان لياقوت في مادة « بغداد » .

ناظم ذو أبواب تنظم بموجبه كمية المياه المطلوب صرفها الى نهر دجلة حسب ما تتطلبه الظروف .

وكان نهر ديالى صالحاً للملاحة إذ يستدل من عدة حوادث تاريخية دوّنها المؤرخون من العرب على ان النهروان كان واسطة نقل نهرية مهمة ، كما أن نهر ديالى الذي مر ذكره كان يؤمن المواصلات النهرية بين النهروان ودجلة . فقد ذكر الطبري ان أبا أحمد الموفق لما عاد من الجبل (أي من جهة ايران) الى العراق) وافى النهروان في شهر المحرم من سنة ٢٧٨ هـ . « فتلقاه الناس فركب الماء فسار في النهروان ثم في نهر ديالى ثم في دجلة الى الزعفرانية »[١] .

وهناك ما يدل على انه كان لنهر ديالى هذا انحدار شديد فان البثوق التي كانت تحدث في بعض الاحيان في ضفاف النهروان اليمنى كانت تؤدي الى انجراف المياه بشدة باتجاه نهر ديالى بحيث يتعذر سد هذه البثوق . وقد أورد الطبري حادثة وقعت في سنة ١٥٨ هـ . وهي تشير الى حدوث بثق من هذا القبيل في ضفة النهروان أدى الى انصباب المياه الى نهر ديالى وبعد أن أقام المنصور نفسه على سكره ثمانية عشر يوماً لم يفلح في سدّه ومضى[٢] .

٤ - مجرى ديالى (نهر ناصرا) ونهر ديالى (فرع النهروان)

يتضح مما تقدم ان علينا أن نميز بين مجرى ديالى الرئيسي ، وهو نهر ناصرا الذي كان ينزل من جبل حمرين ويجري في اتجاه مجرى ديالى الحالي ليصب في النهروان ، وبين نهر ديالى الذي كان فرعاً من النهروان يتفرع من ضفته اليمنى من جنوبي مدينة النهروان وينتهي الى دجلة ، اذا ما أردنا أن نتتبع تطورات أدوار

---

(١) الطبري (٣ : ٢١٢٠) . وقد جاء ذكر هذا الحادث نفسه في المنتظم لابن الجوزي الجزء الخامس ص ١٠٩

(٢) الطبري (٣ : ٣٨٥) .

النهروان في هذا القسم . وعلى هذا فقد ذكر ياقوت ان مجرى ديالى « هو نهر بعقوبا الاعظم يجري في جنبها وهو الحد بين طريق خراسان والخالص وهو نهر تامرا بعينه »، كما ايد ابن عبد الحق في المراصد أن مجرى ديالى « هو تامرا وما تحت بعقوبا منه يسمى ديالى ومصبه في دجلة يسمى « فم ديالى » .

وقد أيد ابن عبد الحق في وصفه لنهر تامرا وجود السد عليه وتفرع الجداول من أمام السد كما ذكر ان القسم الاسفل كان يسمى « ديالى » او « الماء المالح »، واليك ما كتبه في ماده تامرا قال : ـ « ان نهر تامرا نهر كبير تحت بغداد شرقيها مخرجه من جبال شهرزور ومما يجاورها وينسب اليه طسوج من طساسيج بغداد له سُد فوق باجسرى (جاءت في النص باجباره خطأ) يرد الماء الى انهار سبعة على كل نهر كورة من كور بغداد وهي جلولاء ومهروذ وطابث وبرزي وبراز الروز ومن غربيه الرُبض والخالص ... وعلى شاطىء تامرا باجسرا ويعقوبا والنهروان كانت مدينة وخربت ، وهو يصب الى دجلة تحت بغداد باكثر من فرسخ ويسمى مصبه فم ديالى وكان ديالى هو أسم لآخر هذا النهر من النهروان الى ما سفل ويسمى أيضاً «الماء المالح » . وقد ذكر ياقوت أيضاً في مادة «تامرا» ان تامرا وديالى اسم لنهر واحد وقد انشئت في مكان السد الذي تتفرع منه الجداول السبعة أرضية من الحجر مسافة سبعة فراسخ ، وهذا نص ما كتبه في هذا الصدد قال : ـ « ان تامرا هو طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي وله نهر واسع يحمل السفن في أيام المدود ومخرج هذا النهر من جبال شهرزور والجبال المجاورة لها وكان في مبدأ عمله خيف ان ينزل من الارض الصخرية الى الترابية فيحفرها ففرش سبعة فراسخ وسيق على ذلك الفرش سبعة انهار كل نهر منها لكورة من كور بغداد وهي جلولاء مهروذ طابث (جاءت في النص طائق خطأ) برزي براز الروز النهروان الذئب (جاءت في النص الذنب خطأ) وهو نهر الخالص ...»

وقد ذكر المستوفي في هذا الصدد ان النهروان هو نهر ديالى نفسه وانه ينبع من جبال كردستان حيث يسمى نهر شيروان ثم بعد ان يلتقي بنهر حلوان الذي ينحدر من قصر شيرين وخانقين يسمى تامرا ، ويسير هذا المجرى الموحّد بعد ذلك حتى يصب في النهروان قرب بعقوبا . أما ابن رسته وابن خرداذبه فقد ذكرا ان النهروان ينبع في المنطقة الجبلية ثم يصب في النهروان قرب مدينة صلوى[1] ، ويعني بذلك نهر تامرا الذي ينتهي الى النهروان .

٥ ـ طريق خراسان العام

وكان الطريق العام بين بغداد وخراسان يخترق « كورة استان شاذ قباذ » فيزيد في أهميتها من الناحية الستراتيجية ، وكان هذا الطريق يمر أولاً بـ « مدينة النهروان » ثم يسير محاذياً النهروان شرقاً حتى يصل الى بعقوبا ، ومن ثم يسير في اتجاه الطريق الحالي بين بعقوبا وخانقين ، وبعد أن يترك خانقين ينتهي الى قصر شيرين حلوان .

أ ـ الطريق بين بغداد ومدينة النهروان

وكانت المرحلة الاولى من الطريق تمتد في «طسوج نهر بوق»[2] بين مدينة

---

(١) ذكر ابن سرابيون ان مدينة صلوى المذكورة تقع على مجرى النهروان في نقطة تبعد اربعة فراسخ (حوالي ٢٠ كيلومتراً) من جنوبي ملتقى مجرى أبي الجند (نهر القائم) بالقاطول الكسروي . واذا قسنا هذه المسافة من جنوبي ملتقى نهر القائم بالقاطول الكسروي نجد ان المدينة المذكورة كانت تقع الى جنوبي الموضع المعروف بـ « قلعة الناي» القائمة بين العظيم والخالص (حول القلعة المذكورة راجع ما تقدم في الصفحة ٢٠٤)

ويلاحظ ان ابن سرابيون سمى المدينة في مكان آخر (صولى) والمؤرخ الوحيد الذي ذكر المدينة بهذا الاسم هو ابو الفداء على ان ابن رسته اطلق عليها اسم (باب صلوى) وورد اسمها في التنبيه (باصلوى) ، اما ابن خرداذبة فقد سماها (صلوى)

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوج نهر بوق في الصفحة ٣٥٩

السلام و « مدينة النهروان » ، وقد اجمع المؤرخون من العرب على ان المسافة بينهما اربعة فراسخ (حوالي ١٩ كيلومتراً) ، وهذه هي نفس المسافة بين بغداد الشرقية و « تلول صخيرية » في « صفوة » التي تقع فيها « مدينة النهروان »[١] . وكان الطريق يبتدىء من نهاية الجسر الكبير في مدينة بغداد الشرقية متجها نحو الشرق حتى « باب خراسان » ، الذي يقع قرب محطة قطار باب المعظم الحالية ، فيعبر « نهر موسى » القديم بالقرب من « قصر المعتصم » في الموضع المعروف بـ « الدرب الطويل » ثم يسير شرقا باتجاه « تلول الصخر » الحالية ، وبعد ان يعبر « نهر علي » القديم بالقرب من هـــذه التلول[٢] ، يتجه الى الشمال الشرقي فيعبر خط سكة حديد بغداد ـ بعقوبا الحالي ، ومنها يقطع طريق بعقوبا المعبّد فيصل الى « تلول الولداية » الحالية الواقعة في أراضي سامي بك الاورفه‌لي ، ثم ينتهي الى « تلول صخيرية » في « اراضي صفوة » حيث تقع « مدينة النهروان » شرقي مجرى ديالى الحالي . ومن المعلوم ان مجرى ديالى لم يكن موجوداً هناك في ذلك الوقت كما يتضح من شرحنا المتقدم الخاص بمجرى ديالى (راجع الرسم رقم ٢١ الذي يبين اتجاه الطريق بين « الولداية » و « مدينة النهروان ») .

ونميل الى الاعتقاد بان « تلول الصخر » الحالية هي موقع قرية « الاثلة » التي ذكر ابن سرابيون ان طريق خراسان يعبر « نهر علي » (احد فروع نهر بين)[٣] بالقرب منها ، والدليل على هذا ان المسافة بين بغداد « وتلول الصخر » تبلغ حوالي خمسة كيلو مترات ، وهذه هي نفس المسافة التي ذكرها ياقوت حين قال ان « قرية الاثلة » تقع على بعد فرسخ واحد (حوالي خمسة كيلو مترات) الى الشرق من مدينة بغداد .

---

(١) حول « مدينة النهروان » راجع البحث المتقدم في الصفحة ٣٦٠ .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالنهرين « نهر موسى » و « نهر علي » في ص ٣٦٦ و ٣٦٨ .

(٣) راجع البحث الذي تقدم عن انهر مدينة بغداد الشرقية في الصفحة ٣٦٣ .

ب ـ جسر « مدينة النهروان »

وكان في «مدينة النهروان» جسر عائم على نهر النهروان الذي يخترق المدينة من وسطها ، وقد ذكر الطبري ان عدد السفن التي يتألف منها الجسر كان في زمن المعتز اكثر من عشرين سفينة ، وقد أحرقها الجنود الاتراك أثناء النزاع على الخلافة بين المعتز الذي بايعه جنود سامراء وبين المستعين الذي أقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعته[1] . ويستدل من الآثار الحالية على ان عرض مجرى النهروان في « مدينة النهروان » كان حوالي ١١٠ أمتار .

ج ـ الطريق بين « مدينة النهروان » و « العسكرة »

وبعد أن يعبر الطريق جسر « مدينة النهروان » يسير شمالاً على محاذاة الضفة الشرقية للنهروان ، حتى اذا ما قطع مسافة حوالي أربعين كيلومتراً في هذا الاتجاه وصل الى « بعقوبا » الواقعة على الضفة اليسرى للنهروان ، وذلك بعد أن يكون قد مرّ في سيره هذا بقرية « باجسرا » الواقعة على بعد زهاء ستة كيلومترات من جنوب بعقوبا . ويستخلص مما كتبه المؤرخون من العرب ان « بعقوبا » كانت من أهم المدن الرئيسية على طريق خراسان العام ، فكانت تقع داخل الزاوية التي يشكلها ملتقى مجرى ديالى بالنهروان ، كما كان يخترقها نهر جلولاء من وسطها مما يزيد في أهميتها من الناحيتين، الزراعية والستراتيجية[2] .

أما الطريق في الناحية التي تلي بعقوبا فكان يسلك اتجاها لا يختلف كثيراً عن اتجاه طريق (بعقوبا ـ شهرابان) الحالي ، إذ كان ينحرف الى الجهة الشرقية

---

(١) الطبري (٣ : ١٥٧٧)

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بقريتي « باجسرا » و « بعقوبا » في الصفحة ٣٦٣ (حاشية ٢)

مستمراً في سيره نحو الشمال مسافة حوالي ثلاثين كيلومتراً حتى يصل الى « الدسكرة » . اما موقع « الدسكرة » فقد اختلف الاثاريون والمحققون فيه، إلا اننا إذا تحرينا المنطقة الواقعة الى الجنوب من شهرابان في جوار قرية « جيجان » الحالية نجد أن هنالك على ثلاثة كيلومترات من شمال قرية « جيجان » بناء قديماً تتفق أطلاله مع وصف ابن رسته لمدينة « الدسكرة » تماماً ، وهو الوصف الذي يفيد بأن « الدسكرة مدينة كبيرة وبها قصر من بناء الاكاسرة حول مشرف وليس داخله شيء من البناء له باب واحد مما يلي المغرب » ، ونعني بذلك الأطلال المعروفة اليوم باسم « أسكي بغداد » ، وهذه تقع في شرقي نهر شهرابان على الجانب الغربي من الطريق العام الحالي بين شهرابان (المقدادية) وبلدروز في نقطة كائنة على حوالي أربعة كيلومترات من جنوب شهرابان بالقرب من قرية السكف (الجف) . وتتكون هذه الآثار من سور ضخم مربع الشكل يبلغ طول كل من أضلاعه الأربعة حوالي ١٥٠٠ متر له مدخل واحد يقع في الضلع الجنوبية في الزاوية الغربية الجنوبية من السور ، ثم من أطلال لمدينة قديمة خارج الركن الشمالي الغربي للسور تسمى اليوم « تلول سبع قناطر » ، وكذلك من بقايا لقصر شامخ داخل زاوية ذلك الركن قرب أطلال المدينة يؤلف تلا مرتفعاً جداً بحيث يشرف على كل المنطقة المجاورة ، ويسمى التل الأخير « تل بنت الامير » . ويلاحظ ان الضلعين ، الشرقية والغربية ، للسور تتجهان نحو الشمال تماماً ، وان نهر المقدادية يجري بموازاة الضلع الغربية . والبناء كله (بناء المدينة والقصر) مشيد بآجر من الحجم الكبير، وهو الآجر الذي يقارب حجمه الآجر المستعمل في بناء السد الغاطس على القاطول الكسروي[1] وحجم لبن سور القادسية[2] ولبن سور « بسماية »[3] مما يؤيد على ان البناء يعود الى العهد الفارسي . وليس داخل

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالسد المذكور في الصفحة ٢٠٩

(٢) راجع البحث المتقدم في ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠

(٣) راجع البحث المتقدم الخاص باطلال « بسماية » في ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣

السور أي بناء غير أطلال القصر الذي في الزاوية الشمالية الغربية للسور ، وهذا يتفق تماماً مع قول ابن رسته الذي يؤكد بأن ليس داخل السور شيء من البناء . ويشاهد على حوالي ثلاثة كيلومترات من جنوب غربي « اسكي بغداد » أثر لبناء قديم باللبن يسمى « الدولاب » يرجح انه موضع قرية من قرى « الدسكرة ».

وقد ذكر ياقوت وابن عبد الحق والمستوفي ان مدينة « الدسكرة » تقع بالقرب من قرية شهرابان[1]، وقد أضاف المستوفي الى ذلك قوله ان « الدسكرة » كانت قد انشئت من قبل احدى الأميرات من بنات الاكاسرة المسماة « كولبان »، وان هناك ثمانين قرية تأسست حول المدينة ، وهذا يتفق مع الاخبار المتواترة القائلة بأن مدينة « الدسكرة » انشئت من قبل احدى الاميرات من بنات الاكاسرة المسماة « شاه زنان » ، وهي الاخبار المثبتة بتسمية التل، وهي التسمية الباقية الى الآن ، أي « تل بنت الأمير » . ومما ذكره ياقوت وابن عبد الحق ان « الدسكرة » كانت تسمى « دسكرة الملك » لأن هرمز بن اردشير بن بابك كان يكثر المقام بها فسميت بذلك . وقد ذكر الاصطخري ان « الدسكرة مدينة بها نخيل وزروع عامرة وخارجها حصن من طين داخله فارغ وانما هو مزرعة يقال ان الملك كان يقيم هناك في بعض فصول السنة فسميت دسكرة الملك لذلك » .

وتبلغ المسافة بين « مدينة النهروان » و « الدسكرة » حوالي ٦٥ كيلومتراً ، وهذه تتفق وما ذكره ابن رسته من أن المسافة بين « مدينة النهروان » و « الدسكرة » تبلغ اثني عشر فرسخاً . واليك ما كتبه ابن رسته حول هذا القسم من الطريق قال : « ومن النهروان الى دير تيرمه « بازمة » أربع فراسخ الطريق في نخيل وقرى متصلة حتى توافي دير تيرمة (بازمة) ويخترقها نهر كبير[2] ومن دير تيرمة الى الدسكرة ثمانية فراسخ والطريق في أرض مستوية

(١) الارجح ان شهرابان الحالية تقع في نفس موضع قرية شهرابان القديمة التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين من العرب، وبذلك تكون قد حافظت على اسمها القديم الى الآن.

(٢) اننا نميل الى الاعتقاد بأن الدير المذكور كان يقع قرب « قرية امام ابو خميس »=

وقرى يمنة ويسرى وقد خربت وخلا عنها أهلها خوفاً من الاعراب وتفضي الى بناء على رأس تل على اليسار حيطانها مشرفة يقال انه كان سجناً لبعض الاكاسرة ثم تسير في أرض مستوية عن اليمين مفازة وعن اليسار نخيل ومزارع حتى تفضي الى الدسكرة وهي مدينة كبيرة وبها قصر من بناء الاكاسرة حول سور مشرف وليس داخله شيء من البناء له باب واحد مما يلي المغرب » .

أما البناء الذي على رأس التل والذي قيل انه كان سجناً لبعض الاكاسرة فهو التل المعروف اليوم باسم « تل زندان » وهو التل الواقع في غرب طريق شهربان ـ بلدروز الحالي على حوالي خمسة كيلومترات من جنوب غربي الدسكرة (أسكي بغداد) . وهذا التل يتكون من بناء مستطيل فيه اثنا عشر برجاً ضخماً تمتد على طول جداره الشرقي، أما الجدار الغربي فخال من الابراج . والبناء مبني بآجر من الحجم الكبير الذي يقارب حجم الآجر المستعمل في بناء السد الغاطس على القاطول الكسروي وفي بناء الدسكرة وحصن القادسية مما يؤيد انه يعود الى العهد الفارسي[1] .

ز ـ الطريق بين « الدسكرة » و « جلولاء »

وبعد أن يسير الطريق مسافة سبعة فراسخ (٣٤ كيلومتراً) من « الدسكرة » يصل الى « جلولاء » ، وهو الموضع الذي وقعت فيه الوقعة المشهورة المعروفة

= الحالية الواقعة في شرق النهروان على بعد ١٧ كيلومتراً من جنوب بعقوبا . اما النهر الذي يخترق هذه المنطقة فلا شك انه نهر جلولاء الذي كان يستمد مياهه من امام سد ديالى في جبل حمرين ويصب في النهروان جنوباً . (راجع البحث الذي تقدم عن نهر جلولاء في ص ٣٨٢ والبحث التالي الخاص بطسوج النهروان الاعلى في هذا الفصل .) ونستخلص من ذلك ان الطريق كان يسير شرق قرية بعقوبا دون ان يدخل اليها والارجح انه كان يعبر « نهر جلولاء » عند الدير المذكور .

(١) راجع ما تقدم في ص ٣٩١ (حواشي ١ و ٢ و ٣) .

بـ « وقعة جلولاء » بين المسلمين والفرس في سنة ١٦ هـ . (٦٣٧ م) ، تلك الوقعة التي انهزمت فيها جنود الفرس وعلى رأسها يزدجرد الثالث آخر ملوك ساسان ، وقد اشار المستوفي فيما كتبه في القرن الرابع عشر الميلادي الى « مدينة جلولاء » فذكر انها الموضع الذي انشأ فيه ملك شاه السلجوقي ثكنة لجنوده .

ويرى فيلكس جونس ان من المحتمل أن تكون مدينة « جلولاء » في موضع التلين الواقعين في جنوب ملتقى نهر ديالى (فرع شيروان) بنهر الوند (فرع حلوان)، إذ توجد هناك آثار جدول واسع قديم . ويقول المستر جونس ان ملتقى هذين الفرعين يقع على حوالي ستة كيلومترات من شمال شرقي « قزلرباط » الحالية ، على حين ان الملتقى الحالي يقع على بعد ١٣ كيلومتراً من شمال قزلرباط . ويعتقد لي سترانج ان محطة قزلرباط الحالية هي نفس موضع جلولاء ، ولعل رأي المستر لي سترانج أصح حيث ان المسافة التي بين « أسكي بغداد » (موضع الدسكرة) وقزلرباط تبلغ حوالي ٣٥ كيلومتراً ، وهذه تتفق ومسافة السبعة فراسخ التي ذكرها المؤرخون من العرب .

٥ ـ « الهارونية » و « قنطرة طرارستان »

وقد ذكر ابن رسته بعض الاماكن التي تقع على الطريق بين « الدسكرة » و « جلولاء » وهي اولاً « جلاتا » (وردت في النص جبلتا وهذا من خطأ الناسخ)[1] التي يجتاز الطريق واديها على قنطرة من الحجر ، ثم قرية « الهارونية » التي تقع فيهـا قنطرة ضخمة تعرف باسم « قنطرة الهارونية » أو « قنطرة طرارستان » ، وهي مبنية بالحجر والرصاص . وكانت « قنطرة طرارستان » هذه من أهم المواقع على طريق خراسان نظراً لوسعة المجرى الذي اقيمت عليه . أعني

(١) ذكر ابن عبدالحق ان جلتا من قرى جلولاء بطريق خراسان ويصحح بهذا ما ذكره ياقوت من انها من قرى النهروان .

مجرى الروز الذي كان يتفرع من أمام السد الذي على نهر ديالى في جبل حمرين وكان يصرف معظم مياه الفيضان لنهر ديالى فيصبها في « هور سريجة » ثم في « هور الشويجة » ومن ثم تنتهي الى دجلة في جنوب الكوت[1] . وجاء ذكر « قنطرة طرارستان » في عدة حوادث تاريخية فقال ياقوت في مادة «الهارونية» انها « عجيبة البناء لها ذكر تعرف بقنطرة الهارونية » .

اما موضع « الهارونية » التي كانت القنطرة تقع عنده فان الارجح انه يقع في الموضع المعروف بـ « تل عبارة » الواقع على الضفة اليسرى لمجرى الروز الحالي ، وفي جوار هذا التل توجد الآن عبارة يعبر فيها نهر الهارونية فوق مجرى الروز الحالي ، كما توجد في الموضع نفسه قنطرة عبور قديمة على مجرى الروز تقع على الطريق الذي بين المقدادية (شهرابان) ومندلي ، ولا يستبعد ان تكون هذه القنطرة قد انشئت في موضع قنطرة الهارونية القديمة نفسه . ولا شك في ان نهر الهارونية الحالي الذي يقع غربي مجرى الروز قد سمي بهذا الاسم لوقوع قرية الهارونية القديمة بالقرب منه .

وقد ذكر لي سترانج في كتابه « بلاد الخلافة الشرقية » ان قنطرة طرارستان تقع على نهر جلولاء على اعتبار ان نهر جلولاء كان يتفرع من نهر ديالى قرب جلولاء ، على حين ان نهر جلولاء لا يمكن أن يكون إلا غرب طريق خراسان وذلك بناء على ما ذكره المؤرخون من العرب انه كان يجري وسط مدينة بعقوبا ويصب في النهروان عند باجسرا ، وعلى هذا الاساس كان نهر جلولاء يمتد بين طريق خراسان ونهر تامرا باتجاه مجرى خراسان الحالي ، ولا يعترض طريق خراسان حيث يقع في غربه كما اسلفنا . أما تسمية النهر باسم « نهر جلولاء » فلم يكن ذلك بسبب وقوعه بالقرب من بلدة جلولاء لأن جلولاء هو اسم طسوج واسع

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن سد ديالى ومجرى الروز في ص ١٥٩ و ص ٣٨٠-٣٨٢

من طساسيج السواد ولم يقتصر على اسم بلدة جلولاء فقط .

واليك ما كتبه ابن رسته بصدد الطريق بين الدسكرة وجلولاء قال : «ومن الدسكرة الى جلولاء ٧ فراسخ الطريق بين جبال من رمل وماء راكد ونخيل حتى تنتهي الى جبلتا وفيها واد عظيم وعليه قنطرة من بناء الاكاسرة من حجر وربما أفاض الماء عليها فلا يمكن العبور فتعبر الجمال على القنطرة بجهد حتى تصير الى قنطرة يقال لها طرارستان وعليه نهر مرصّص يجري فيه الماء ، وهناك قرية يقال لها هارونيا ثم تمر حتى تنتهي الى شعب بين جبلين فتصير الى جلولاء » .

و ـ الطريق بين «جلولاء» و «حلوان»

ويسير طريق خراسان بعد ان يترك « جلولاء » الى « خانقين » فيصلها بعد ان يقطع مسافة سبعة فراسخ ، ولا شك في انها نفس مدينة خانقين الحالية . وكانت المنطقة التي تبدأ في جلولاء تعرف بالجبل ، وعلى هذا الاساس كان الطريق بين جلولاء وخانقين يقطع اول هـذه المنطقة . وكان الطريق يعبر عند مدينة خانقين نهراً واسعاً على جسر ضخم من الآجر والطيقان ذكر ياقوت انه مكوّن من اربعة وعشرين طاقاً عرض كل طاق عشرون ذراعاً ولا شك في ان هذا الجسر كان على نهر حلوان ، أي نهر الوند الحالي ، ولعل القنطرة الحالية على نهر الوند في خانقين بنيت في نفس الموضع الذي كانت فيه القنطرة القديمة التي ذكرها ياقوت ، ومما قاله ياقوت ايضاً انه توجد في خانقين «عين للنفط عظيمة كثيرة الدخل » . ووجود النفط في هذه المنقطة الآن يؤيد ذلك .

وبعد ان يجتاز الطريق مدينة خانقين ينتهي الى « قصر شيرين » بعد مسافة ستة فراسخ ، وقد اشتهرت مدينة « قصر شيرين » بقصرها الفخم الذي انشأه كسرى ابرويز لحظيته المسمّاة « شيرين » فسميت المدينة باسمها . ومن « قصر شيرين » ينتهي الطريق الى « حلوان » بعـد ان يقطع مسافة خمسة

فراسخ[1]. وبذا تكون مسافة الطريق بين بغداد وحلوان ٤١ فرسخاً، أي حوالي مائتي كيلومتر .

٦ ـ « كورة ارتربن كرد »

وننتهي الآن إلى الكورة الثالثة من كور شرقي دجلة ، أي « استان ارندين كرد»، وهذه تشتمل على منطقة النهروان التي تبدأ في جنوب «مدينة النهروان» بقليل وتنتهي الى ذنائب النهروان قرب الكوت، وضمن ذلك منطقة بدرة وبكسايا الحالية ، وكان معظم أراضي هذه الكورة يروى من الجداول المتفرعة من ضفتي النهروان في المنطقة السفلى منه . وقد سبق ان ذكرنا أن عدد طساسيج هذه الكورة يبلغ الخمسة ، وهي : ١ ـ « طسّوج النهروان الاعلى » ٢ ـ « طسّوج النهروان الاوسط » ٣ ـ « طسّوج النهروان الأسفل » ٤ ـ « طسّوج بادرايا » ٥ ـ « طسّوج باكسايا » .

ويرجع تاريخ انشاء هذه الكورة وتقسيم طساسيجها الخمسة الى عهد كسرى انوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) ، فقد ذكر ابن الاثير انه « لما غزا كسرى انوشروان بلاد الروم واحتل انطاكية ، وهي من جملة المدن الاخرى التي احتلها هناك نقل أهل انطاكية إلى أرض السواد وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جانب مدينة طيسفون (جاءت طيسون خطأ) على بناء مدينة انطاكية وأسكنهم اياها وهي التي تسمى الرومية وكوّر لها خمسة طساسيج ، طسّوج النهروان الأعلى وطسّوج النهروان الأوسط، وطسّوج النهروان الاسفل، وطسّوج بادرايا،

---

(١) قال ياقوت ان حلوان العراق تقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وانها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وسر من رأى اكبر منها واكثر ثمارها التين وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها ... واما فتحها فان المسلمين لما فرغوا من جلولاء ... تقدموا نحو حلوان فهرب يزدجرد الى اصبهان وفتحت حلوان صلحاً فكف عن أهلها وأمن على ديارهم وأموالهم . »

وطسوج باكسايا » ويقال ان قباذ ابن فيروز (٤٨٨ - ٥٣١م .) كان قبل ذلك قد أنزل جماعة من الفرس في هذه الكورة « فنقل الأشراف من فارس وخراسان من أهل الشرف والجمال والأدب والفروسية فاسكنهم حافتي دجلة وأنزل من كان دون هؤلاء في الشرف النهروانات وأنزل أصحاب الصناعات بطن جوخى[١] وأنزل الحاكة والحجامين بادرايا وباكسايا وقد اختار بعد ان عرف الحدود وعد الفراسخ وميز اقليمه اختار للنزول المدائن[٢] . وقد قيل ان جباية خراج النهروانات الثلاثة وحدها كان يبلغ في ذلك الوقت مليوناً ومائتي الف دينار[٣] .

واليك تفاصيل جباية كل من الطساسيج الخمسة التي كانت تتكون منها « كورة ارتدين كرد » كما ثبتت في أوائل القرن الثالث الهجري نقلا عن ابن خرداذبة وقدامة :—

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	مقدار الحنطة بالكر	مقدار الشعير بالكر	الدراهم
« النهروان الاعلى »	٢١	٣٨٠	٢٧٠٠[٤]	١٨٠٠	٣٥٠ر٠٠٠
« النهروان الاوسط »			١٠٠٠	٥٠٠	١٠٠ر٠٠٠
« النهروان الاسفل »			٩٠٠٠	١٢٠٠	١٥٠ر٠٠٠
« طسوجا بادرايا وباكسايا »	٧	٢٠٧	٤٧٠٠	٥٠٠٠	٣٣٠ر٠٠٠
المجموع	٢٨	٥٨٧	٩٤٠٠	٨٥٠٠	٩٣٠ر٠٠٠

(١) حول « جوخى » راجع البحث التالي الخاص بتطورات مجرى دجلة في أواخر النهروان — الطور الثاني — في هذا الفصل .

(٢) ابن الاثير المجلد الاول ص ٣١٧

(٣) راجع معجم ياقوت (مادة النهروان)

(٤) هذا ما أورده ابن خرداذبة ، اما قدامة فان الكمية من الحنطة التي ذكرها كانت الف وسبعمائة كر .

أ — « طسّوج النهروان الأعلى »

كان « طسّوج النهروان الأعلى » يشتمل على المنطقة الواقعة على جانبي النهروان بين « مدينة النهروان » ومدينة « عبرتا » ، وهي المنطقة المجاورة الى طسوجي « جازر » و « المدينة العتيقة »[1] من جهتها الشرقية التي تمتد حوالي ٣٥ كيلومتراً نحو الجنوب . وكانت ضمن « طسوج النهروان الاعلى » هذا عدة فروع مهمة تتفرع من الضفة اليسرى للنهروان، أهمها الفرع الواسع المعروف اليوم باسم « نهر الاعوج » الذي يتفرع من أمام الناظم الذي كان على النهروان قرب « خشوم الخور » (أي من أمام الشاذروان الأعلى)[2]. ويبلغ عرض « نهر الأعوج » حوالي ٦٠ متراً في الصدر وهو يروي المنطقة الواسعة التي تمتد مسافة بعيدة في الجانب الشرقي للنهروان فتمتد فروعه إلى الشرق وسط الأراضي الزراعية السهلة حتى تتصل بمزارع نهر ديالى ، وهي المزارع التي كانت تروى من الفروع المتشعبة من نهر ديالى من أمام السد الذي في جبل حمرين. ومن جملة فروع نهر « الأعوج » الأنهر القديمة المعروفة اليوم بـ « الركبة » و « القاطرجي » و « الأبيض » و « المياح » و « جمة » و « حسيجة » وغيرها .

وكانت ذنائب « نهر جلولاء » تخترق « طسوج النهروان الأعلى » أيضاً فتسقي البعض من أراضيه . و « نهر جلولاء » هذا كان يمتد باتجاه جدول خراسان الحالي فيسير أولا موازياً نهر ديالى (نهر تامرّا) من شرقيه ، ثم يمتد جنوباً موازياً مجرى النهروان من شرقيه أيضاً ، فيترك « مدينة النهروان » و « امام أبي عرّوج »[3] الى يمينه ، حتى إذا ما وصل الى « نهر الاعوج »

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوجي « جازر » و« المدينة العتيقة » في ص ٣٧١

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالناظم المذكور في ص ٣٧١

(٣) يقع الامام المذكور على بعد حوالي ستة كيلومترات من جنوب شرقي «مدينة النهروان»

الذي يعترض طريقه في جنوب الامام المذكور اجتازه على عبارة واستمر الى الجنوب على محاذاة الضفة اليسرى للنهروان الى أن يتصل بتلك الضفة عند «الجوزية» الواقعة على بعد حوالي أحد عشر كيلومتراً من جنوب « الشاذروان الاعلى[1] ». وهنا يعبر « نهر جلولاء » فوق مجرى النهروان وينتهي في الاراضي الواقعة بين النهروان ودجلة في جهة الغرب . ولا تزال آثار العبارة التي على « نهر الاعوج » في الموضع الذي كان يعبر فيه « نهر جلولاء » فوق نهر « الاعوج » ماثلة للعيان ، كما انه لا تزال آثار العبارة الثانية التي على النهروان ماثلة للعيان عند « الجوزية » . ويسمى نهر جلولاء اليوم في قسمه الاخير الذي يمتد بين « مدينة النهروان » و « الجوزية » باسم « نهر خراسان القديم » ، وقد أشار ابن رسته الى هذا النهر حين وصف طريق خراسان بين « مدينة النهروان » و « الدسكرة » ، فقال ان الطريق بعد أن يجتاز « مدينة النهروان » متجهاً نحو «دير بازمة» يعترضه نهر كبير فيجتازه ثم يصل الى الدير المذكور . ويستدل من ذلك ان « دير بازمة » كان يقع على الجانب الشرقي من نهر جلولاء[2] .

ومن المحتمل ان عبارة « الجوزية » كانت جسراً للعبور أيضاً ، وان « جسر بوران » الذي ذكره ابن سرابيون وعيّن موضعه على مجرى النهروان بين « الشاذروان الأعلى » و « عبرتا » يقع في نفس موضع هذه العبارة، بدليل ان العبّارة تقع في جنوب ناظم «خشوم الخور» (الشاذروان الاعلى) الواقع عند

= على الجانب الشرقي من مجرى النهروان مقابل الكيلومتر (١٢٥) منه (راجع الرسم رقم ٢١ واللوحة رقم ٤). ويرى الدكتور مصطفى جواد ان قبة الامام المذكور تقع في موضع « قرية الجوسق» القديمة التي ذكر ياقوت انها من قرى النهروان من اعمال بغداد ، وان أبا عروج هو ابو الحسن الجوسقي كان يعرف بأبي عراج في القرن السادس الهجري .

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالجوزية في ص ٣٧٤

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بدير بازمة في ص ٣٩٢

الكيلومتر (١٢٥) من النهروان وفي شمال « عبرتا » الواقعة عند الكيلومتر (١٥٨) منه .

ويبلغ طول مجرى النهروان ضمن حدود « طسوج النهروان الاعلى » حوالي ٣٥ كيلومتراً كما تقدم، فيبدأ من جوار صدر « نهر الاعوج » وينتهي الى قرب مدينة « عبرتا » . ويسير المجرى في هذا القسم في الاتجاه الجنوبي الشرقي مبتعداً عن نهر ديالى حتى اذا ما قطع مسافة أحد عشر كيلومتراً الى الجنوب من صدر « نهر الاعوج » وصل الى « تلول الجوزية » الواقعة على الضفة اليمنى من النهروان ، وهي التلول التي كان يمر عندها « نهر جلولاء » فوق مجرى النهروان ممتداً في الأراضي الواقعة بين الضفة اليمنى من النهروان والضفة اليسرى لنهر دجلة . ويستدل من الخرائب الواسعة في « تل الجوزية » على انه كانت هناك قرية كبيرة تشتمل على مبانٍ كثيرة . والى الجنوب من « الجوزية » بمسافة قليلة يتفرع نهران من الضفة اليمنى للنهروان ، الاول من الشمال يسمى « نهر عليان » والثاني الذي يليه من الجنوب ، وهو اكبر سعة ، يسمى « نهر الكف » ، وللنهر الاخير ضفاف مرتفعة ويمتد هو وفروعه في المنطقة الواقعة بين النهروان ودجلة ، وهي المنطقة التي يقع فيها الطسوجان « جازر » و « المدينة العتيقة »[1]. وتوجد في الزاوية الجنوبية التي بين صدر نهر الكف ومجرى النهروان آثار خرائب كثيرة يستدل منها على أنه كانت هناك قرية واسعة مزدهرة بمبانيها .

وينحرف مجرى النهروان بعد ذلك نحو الشرق فتقع هنا على ضفته الغربية خرائب كثيرة تمتد مسافة حوالي كيلومتر ونصف الكيلومتر ، وتسمى هذه الخرائب تلول « أبي زعيطيرة » . ويتفرع من جنوب هذه الخرائب مباشرة في الضفة نفسها نهر كبير يسمى « نهر أبي ثمارة » ، الذي يمتد مع فروعه مسافة حوالي ٢٥ كيلومتراً في الأراضي الواقعة بين « المدائن » ومجرى النهروان ،

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوجي « جازر » و « المدينة العتيقة » في ص ٣٧١.

فيروي الشقة الواقعة على ضفة نهر دجلة الشرقية ضمن حدود طسوج « المدينة العتيقة » .

وتقع امام صدر « نهر أبي تمارة » على الضفة الشرقية للنهروان وعلى مسافة حوالي عشرين كيلومتراً من جنوب « الشاذروان الاعلى » تلول واسعة تسمى « المدار » ، وهي مقابل (الكيلومتر ١٤٤) من المجرى، ولعل منشأ هذه التسمية يرجع الى وجود آثار « طاحونة » في هذا الموضع . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان هناك مواضع اخرى على النهروان تحمل اسم « مدار » ايضاً مما يدل على انه كان يستفاد من قوة تيار الماء في النهروان وفي فروعه لتشغيل المدر الخاصة بطحن الحبوب . وتوجد على مسافة حوالي ١٢ كيلومتراً من شمال شرقي « تلول المدار » اطلال واسعة وسط الصحراء تسمى « تلول عقرب » ، وهذه من بقايا العمران الذي كان يستقي المياه من ذنائب الأنهر المتفرعة من نهر ديالى أمام سد ديالى في جبل حمرين[1]

وبعد أن يترك مجرى النهروان « تلول المدار » الى يساره قاطعاً حوالي أربعة كيلومترات في الاتجاه الشرقي ، ينعطف نحو الجنوب قليلا ، وفي الموضع الذي يبدأ فيه انحراف المجرى يتفرع نهر كبير من الضفة الشرقية يسمى « نهر سيسبانه » ، وهذا النهر يمتد مسافة بعيدة في الصحراء وكان يروي الاراضي الواقعة على الجانب الايسر للنهروان . ويواصل النهروان سيره بعد ذلك في نفس الاتجاه مبتعداً عن نهر دجلة حتى اذا ما سار زهاء ثلاثة كيلومترات من صدر « نهر سيسبانه » تفرع من ضفته اليمنى نهر يسمى « نهر بعير » ، وكان هذا النهر يتجه نحو دجلة .

ويلي « نهر بعير » ثلاثة فروع اخرى تتفرع من الضفة اليمنى ايضاً اولها يتفرع في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين من صدر « نهر بعير » ، وتسمى

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالانهر المذكورة في ص ٣٨٠ — ٣٨٣ .

الانهر الثلاثة هذه « انهر رميلات » ، وتبلغ المسافة بين صدر وآخر حوالي نصف كيلومتر . وهناك اطلال منتشرة في المنطقة التي تخترقها الانهر الثلاثة المذكورة مما يدل على انها كانت كثيفة في سكانها ومبانيها . وتتفرع من امام « انهر رميلات » في الضفة اليسرى للنهروان نهر آخر يسمى « نهر سدبرة » (راجع اللوحة رقم ٤)

ب ـ « مدينة عبرتا »

وفي جنوب « انهر رميلات » تبدأ اطلال مدينة « عبرتا » التي تمتد على طول الضفة اليسرى للنهروان مسافة حوالي خمسة كيلومترات . وتوجد في منتصف هذه المسافة عند الكيلومتر (٢٥٨) من مجرى النهروان آثار دعامة ضخمة من بناء الآجر تسمى اليوم « المنارة » ، الا ان شكل بنائها يدل على انها بقايا ركن من بناية مهمة وسط المدينة (راجع التصوير رقم ١٠ « منارة عبرتا ») ومن شمال

رسم رقم ١٠ ـ منارة عبرتا

موضع « المنارة » المذكورة مباشرة ينحرف النهر نحو الشرق قليلا فيؤلف

نصف دائرة تقع المنارة في وسطها ، وهناك نهران يتفرعان من الضفة اليمنى للنهروان عند رأس الحلقة التي تبدأ منها نصف الدائرة يعرفان اليوم باسم « نهري نعجة » ، وكان هـذا الفرعان يرويان المنطقة الواقعـة الى الغرب من مدينة « عبرتا » ، كما ان هناك فرعا آخر يسمى « نهر ابي سمسم » يتفرع من الضفة اليسرى للنهروان في نقطـة تقع جنوب « منارة عبرتا » بحوالي كيلومتر واحد فيمتد داخل السهل الذي في الجانب الشرقي للنهروان . وتقع في منتصف المسافة بين « المنارة » وصدر « نهر ابي سمسم » آثار فرع آخر يسمى « نهر عبرتا » ويمتد هذا النهر في شمال « نهر ابي سمسم » لأرواء الاراضي الواقعة شرق « مدينة عبرتا » .

وكانت مدينة « عبرتا » من المدن الكبيرة على النهروان ولعلها المدينة المهمة الوحيدة التي احتفظت باسمها الاصلي وبموقعها القديم في النهروان ، ويعتقد فيليكس جونس انها كانت تقع على الطريق العام بين « طيسفون » والمقاطعات الشمالية الشرقية من بلاد فارس ، وكان فيها جسر على مجرى النهروان يؤمن عبور الطريق المذكور عليه . وقد ذكر ياقوت ان عبرتا « قرية كبيرة من اعمال بغداد من نواحي النهروان بين بغداد وواسط وفي هذه القرية سوق عامر ... وقد نسب اليها من الرواة والادباء خلق كثير ... منهم الاسعد بن نصر بن الاسعد العبرتي النحوي مات في حدود سنة ٥٧٠ هـ وكان يقرأ النحو ببغداد ... »

ج ـ « طسوج النهروان الأوسط »

ونأتي الآن الى « طسوج النهروان الأوسط » الذي كان يعد من أعمر المناطق على مجرى النهروان : يمتد هذا الطسوج مسافة حوالي اربعين كيلومتراً على جانبي النهروان ، فيبدأ من جنوب « منارة عبرتا » وينتهي الى جوار مدينة « ديرالعاقول » ، وهي المدينة الرئيسية من مدائنه[1] ، وكان من ضمنه مركز

(١) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « ديرالعاقول » في هذا الفصل .

مهم لتقسيمات الري يعرف باسم « الشاذروان الأسفل » لتمييزه عن « الشاذروان الأعلى » الواقع قرب « خشوم الخور »[١] ، ولا تزال آثار هذا الشاذروان ماثلة للعيان عند الكيلومتر (٥ر١٧٦) من مجرى النهروان ، ويسميها الاهلون اليوم « القناطر » ، كما كانت في هذا الطسوج ايضاً مدينة مهمة عدا مدينة « دير العاقول » ، هي مدينة « اسكاف بني الجنيد » المشهورة التي لا تزال آثارها تشاهد في جنوب « القناطر » مباشرة[٢] .

وكان موضع « القناطر » (الشاذروان الاسفل) من أهم المواضع على النهروان إذ يقع فيه سد ضخم تتفرع من أمامه جداول كبيرة تروي الاراضي الواقعة على جانبي النهروان في تلك المنطقة . وكانت هذه السدود تؤلف على مجرى النهروان الرئيسي مراكز رئيسية لتقسيم المياه ، فمن أمامها تتشعب أهم الجداول الفرعية التي تنتهي الى الاراضي الزراعية ، وعلى هذا فقد نشأت في جوار هذه السدود أكثف المدن وأحسن المزارع على مشروع النهروان .

وقد يكون من المفيد أن نتتبع مجرى النهروان في هذا القسم ، فنصف المنشئات التي على جانبيه والأنهر التي كانت تتفرع منه ، ولا سيما الانهر الكبيرة التي كانت تتفرع من أمام « القناطر » . وإذا راجعنا خارطة مجرى النهروان بين « منارة عبرتا » و « القناطر » (راجع اللوحة رقم ٤) نجد أن أبرز التلول الواقعة عليه في هذا القسم هو التل المرتفع المسمى اليوم « تل طبل » الواقع على الجانب الأيمن من النهروان على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من موضع « منارة عبرتا » جنوباً . ويظهر من بروز ارتفاع هذا التل ومن نوع بنائه أنه من المواضع التي ترجع الى عهود واغلة في القدم ، فهو يتألف من بناء مربع يبلغ طول كل من اضلاعه حوالي ٤٥٠ متراً ، وتوجد في وسط البناء حفرتان

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « الشاذروان الأعلى » في ص ١٥٣ و ٣٧١ .

(٢) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « اسكاف بني الجنيد » في هذا الفصل .

عميقتان يدل شكلها على أنها كانتا بحيرتين اصطناعيتين . وعلى مسافة حوالي ميل واحد من جنوب « تل طبل » يتفرع من الضفة اليسرى للنهروان نهر يسمى « نهر ابي كلب » أو « نهر الكلب » ، ومن تحت هـذا النهر مباشرة ينعطف مجرى النهروان يميل قليل نحو الجنوب الغربي ثم يعود فيسير نحو الجنوب الشرقي ، وهنا يتشعب من الضفة اليمنى ثلاثة فروع ، يتفرع أولها في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين و نصف الكيلومتر من جنوب « نهر الكلب » ، أما الثاني فيتفرع على بعد نصف كيلومتر تقريباً من الاول ، والثالث على بعد كيلومتر واحد من الثـاني . ومن جنوب الفروع الثلاثة المذكورة مباشرة يتفرع في الضفة اليسرى نهر آخر يمتد في أراضي الجزيرة شرقاً ، وتسمى هذه الفروع الاربعة « أنهر الزهراوات » ، وتعرف الفروع الثلاثة الواقعة على الجانب الغربي باسم « زهراوات الشط » لأنها تتجه نحو شط دجلة ، ويسمى الفرع الرابع الذي يتفرع من الضفة اليسرى نهر « زهرة العراق » .

وإلى الجنوب من « أنهر الزهراوات » بقليل تقع أطلال مدينة قديمة على الضفة اليسرى من النهروان يستدل من آثارها أنها كانت قرية مهمة في هـذا الموضع ، كما يستدل من آثارها أنه كان فيها جسر على مجرى النهروان يوصل بين ضفتي مجرى النهروان الذي يبلغ عرضه هنا حوالي مائة متر ، ولم يعرف لهذه الأطلال اسم خاص بها ويحتمل أن تكون من بقايا قرية « برزاطية » التي ذكرها ابن سرابيون بقوله إنها تقع على مجرى النهروان إلى الجنوب من « عبرتا » بينها وبين « الشاذروان الأسفل » (القناطر) . وقد أورد المسعودي ذكر هـذه القرية أيضاً فسماها « برزاطيا » مؤيداً ابن سرابيون في تعيين موقعها جنوب عبرتا حيث قال : « ويمر النهروان ببلاد بعقوبا ويشق مدينة النهروان وهي جانبان وجسر بوران وعبرتا وبرزاطيا واسكاف بني الجنيد ويصب إلى دجلة بناحية جرجرايا . »(١)

---

(١) كتاب « التنبيه » ص ٥٣ .

د ـ « الشاذروان الأسفل »

وبعد أن يجتاز النهروان الأطلال المارة الذكر يسير سيراً ملتوياً فيقطع مسافة حوالي سبعة كيلومترات في هذه التعرجات حتى يصل إلى موضع « القناطر »، وهي على ما نعتقد نفس موضع « الشاذروان الأسفل » الذي ذكره ابن سرابيون في وصفه لمجرى النهروان وللمنشئات الواقعة عليه . وتوجد في هذا القسم من مجرى النهروان أنهر عدة تتفرع من جانبيه وتشاهد على بعد حوالي كيلومترين من جنوب الأطلال التي ترجح وقوع قرية « برزاطية » فيها ثلاثة أنهر متوازية تتفرع من الضفة اليمنى ، كما يشاهد فرع آخر إلى الجنوب من الفروع الثلاثة هذه يتشعب من الضفة اليسرى للمجرى .

وتعد « القناطر » التي لا تزال آثارها تشاهد عند الكيلومتر (١٧٦ ½) من مجرى النهروان من أهم المنشئات الرئيسية على مجرى النهروان ، وهي تتألف من « سد غاطس » من بناء الآجر والطرسانة يمتد على عرض مجرى النهروان ومن « هويس » (ممر للسفن) يوازي الجانب الأيمن من السد . ولا تزال تشاهد آثار الفروع التي كانت تتشعب من جانبي النهروان من أمام السد المذكور وهي تؤلف تلولا مرتفعة جداً مما يدل على جسامة الأعمال الترابية التي تخللها حفر هذه الأنهر وعلى ضخامة كميات الأطيان التي كانت ترفع من أحواضها ، كما أنه لا تزال آثار النواظم التي كانت في صدور هذه الأنهر ماثلة للعيان ويستدل من بقاياها أنها كانت من أضخم الأبنية التي أنشئت على مجرى النهروان .

أما عدد هذه الأنهر فخمسة منها نهران على الجانب الغربي ، أولها من الجنوب يعرف باسم « نهر ابي زلزلة » ، والثاني من الشمال يسمى « نهر الأبيتر » ، وثلاثة أنهر في الجانب الشرقي ، وهي من الجنوب إلى الشمال : « نهر خشم القنطرة » و « شطيطة الفرّية » و « نهر ناجم » (راجع الرسم رقم ١٩) .

وتتكون القناطر من سد غاطس يشبه السد الواقع في ذنائب القاطول الأعلى الكسروي من حيث تصميم بناء السد نفسه [١] ، ويختلف عنه في كونه مجهز بـ « هويس » خاص لمرور السفن ومدعم بجدارين ضخمين يمتدان على طول ضفتي النهر للمحافظة على السد و « الهويس » من جهة ولايجاد جدار متين ترسى عنده السفن أثناء مرورها من « الهويس » من الجهة الأخرى . ويجد القارىء في الرسم رقم ١٩ خارطة للسد وضعت في ضوء الآثار المتبقية ، فيتضح من التفاصيل الواردة في هذه الخارطة أن الجدار الغربي الذي يدعم « الهويس » يمتد أولا مسافة حوالي ٥٠ متراً على شكل خط مستقيم مشكلا زاوية قائمة مع السد ، وفي هذا القسم من الجدار دعامتان كبيرتان يبلغ قطر كل منهما حوالي الستة أمتار ، تسندانه من الخارج ، ثم ينحرف الجدار الى الغرب فيمتد مسافة ٤٤ متراً ومن ثم يبدأ الجدار الشرقي للهويس فينعطف نحو الشمال ممتداً مسافة حوالي ٨٥ متراً ، وبذلك يكون مجموع طول هذا الجدار حوالي ١٨٠ متراً . ويقوم « الهويس » في الجانب الغربي من القسم الأخير للجدار فيؤلف هناك حوضين لدخول السفن ، الحوض الجنوبي يتكون من أضلاع غير متوازية فيبلغ طول الضلع الجنوبية التي يقع أحد أبواب « الهويس » في وسطها حوالي ٦٥ متراً وطول الضلع الشمالية التي يقع عندها الباب الثاني « للهويس » حوالي ٢٠ متراً . أما الضلعان الجانبيتان لهذا الحوض فيبلغ طول الضلع الشرقية زهاء ٦٥ متراً وطول الضلع الغربية حوالي ٢٥ متراً . ويتألف الحوض الثاني ، وهو الحوض الشمالي ، من مربع طول كل من أضلاعه الأربع حوالي ٢٠ متراً ، ويقع في ضلعه الشمالية باب لدخول السفن كما يقع في ضلعه الجنوبية باب آخر ، والباب الأخير هو الباب الذي يؤدي الى الحوض الجنوبي وعلى هذا فهو مشترك بين الحوضين الشمالي والجنوبي . ويستخلص من وجود هذين الحوضين أن الفرق بين مناسيب المياه في المقدم والمؤخر من السد كان كبيراً بحيث كان الوضع يتطلب انشاء

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالسد المذكور في ص ١٥٢ و ٢٠٩ .

حوضين بدلا من الحوض الواحد ، وهي نفس الطريقة المتبعة اليوم في مثل هذه الحالات . والذي يلفت النظر في تصميم بناء هذا « الهويس » أن الاقدمين كانوا قد بلغوا درجة عالية من الرقي في هندسة الري ، فان تصميم هذا الهويس لا يقل في هندسته عن أي تصميم حديث للأهوسة التي توضع اليوم على الجداول والأنهر . واذا صح اعتبار علم الهندسة مكوناً من مجموعة اختبارات عملية ترجع بنا الى أقدم العصور جاز لنا القول بأن علم التصاميم الحديثة مقتبس في الاصل من الاساليب والاختبارات القديمة المتبعة في بناء مثل هذه المنشئات .

وجاء فيما ذكره المؤرخون من العرب ما يؤيد أن المواصلات على مجرى النهروان كانت من أهم وسائط النقل النهرية في القطر في ذلك الزمن ، الامر الذي حمل المسؤولين على اقامة « الهويس » الى جانب « الشاذروان الاسفل » لضمان عبور السفن من خلاله . فمن جملة ما ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٥ هـ . بصدد نقل الاطعمة في بطن النهروان قال : « رحل ابن أوس عن النهروان بعد أن أثر في تلك الناحية آثاراً قبيحة وأخذ أهل البلاد بأداء الاموال وعمل منها الطعام في السفن في بطن النهروان الى اسكاف بني جنيد لبيعه هناك »[1] . وقد أيد اليعقوبي سير المراكب والسفن في مجرى النهروان بقوله ان النهروان ، وهو « نهر تامرا » ، كان يمر بمدينة « جسر النهروان » ، « وتجري فيه المراكب العظام والسفن الكبرى »[2] .

أما الجدران الشرقية للسد فتتألف من بناء ذي أربع أضلاع غير متوازية ملاصق للسد ومن جدار يسير على محاذاة الضفة اليسرى للنهر من الناحية الشمالية للسد ، فتكوّن الضلع الغربية للبناء جناح السد الايسر ، وهو الجناح الذي يمتد على عرض السد باتجاه مجرى النهر مسافة حوالي ٢٥ متراً . أما الجدار فيبدأ من

---

(١) الطبري (٣ : ١٤٣٨) .

(٢) كتاب « البلدان » (طبعة النجف) ص ٣٦ .

الزاوية الشمالية الشرقية للبناء فيسير مع حافة النهر شمالا مسافة حوالي ١٢٠ متراً حتى ينتهي الى الجرف المرتفع قرب صدر « نهر خشم القنطرة » .

ونستخلص من تدقيق المادة المستعملة في بناء جناحي السد أن هناك تنوعاً فيها من حيث حجم الآجر ومن حيث نوع المونة المستعملة بين الآجر ، مما يدل على ان البناء اجري فيه عدة اصلاحات في ادوار مختلفة ولاسيما في الدور العباسي الأخير .

ذكرنا فيما تقدم ان تصميم السد يشبه من حيث الأساس تصميم السد الغاطس (Weir) الكائن في ذنائب القاطول الأعلى الكسروي ، فهو قائم على قاعدة من بناء النورة والآجر الضخم ثم تمتد ارضيته السطحية المكونة من خرسانة النورة والحصى بتسريح ١ الى ١٥ بموازاة جرف النهر ، ويبلغ طول القاعدة التي تمتد باتجاه مجرى النهر ٢٢ متراً ، ويبلغ ارتفاع السد بين القمة وقعر النهر زهاء ١٫٥ متراً ، أما طوله على عرض مجرى النهروان فيبلغ حوالي ٣٦ متراً . ويجد القارىء في الرسمين ١٩ و ٢٠ تصميم السد كما كان في الأصل وقد استند في وضعه الى المعلومات المتوفرة من بقايا البناء .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان فيليكس جونس صوّر آثار هذا السد كما شاهدها ، إلا أنه تعذر عليه تتبع تفاصيل تصميمه ، فيلاحظ اضطرابه في الرسم الذي وضعه والوصف الذي قدمه ، إذ كان يظن ان السد مجهز بفتحات في الوسط لمرور المياه ، ولعله توصل الى هذه النتيجة مستنداً الى التخريبات الحاصلة في وسط السد من جراء سيول الامطار فظنها فتحات ، ويلاحظ ايضاً ان فيليكس جونس تعذر عليه معرفة الأسباب الداعية الى انشاء الجدار الطويل مع دعاماته على الضفة اليمنى من السد ، وهو الجدار الذي كان يؤلف جانب « الهويس » الخاص بمر السفن ، ولا شك انه كان متحيراً في أمر هذا الجدار وفي آثار المجرى الثاني على الجانب الغربي من السد لأن وجود « الهويس »

في هذا الموضع لم يخطر على باله . ومع أن فيليكس جونس لم يعط لنا صورة حقيقية لهذا المشروع الجبار إلا أنه كان يقدّر أهميته حق قدرها الى درجة ذهب معها الى القول ان العمل المذكور يصح أن يكون انموذجا لتصميم السدود الحديثة على الأنهر وان الاختبارات الفنية المستنبطة من تصميم هذا السد يصح أن تتخذ دروساً يستفيد منها المهندس الحديث في مجال الفن والهندسة .

٥ ـ « اسكاف بني الجنيد » (الطول سماكة)

وفي جنوب القناطر (الشاذروان الأسفل) مباشرة تقع خرائب كثيفة تعرف اليوم باسم « سماكة » تمتد على طول النهروان من الجانبين بعمق مايقارب الكيلومتر من حافة النهر لمسافة حوالي ستة كيلومترات بين الكيلومتر (١٧٦ ½) والكيلومتر (١٨٣) من النهروان ، أما ارتفاع هذه الخرائب فيبلغ أكثر من خمسين قدماً في بعض المواضع . وتوجد بين خرائب « سماكة » هـذه آثار دعامات على حافة النهروان من الجانبين يحتمل أنها آثار جسر ثابت قديم كان يقطع مجرى النهروان في هذا الموضع فيحقق سير المواصـلات عبر النهر . ويشاهد من فوق أطلال « سماكة » في السهل الواقع شرقي النهروان تلان مرتفعان يتصلان بضفاف « شط الفرّية » الذي يتشعب من أمام « القناطر »[1] ، ويعرف أحد هذين التلين باسم « تل مزرور الـكبير » ، أما التل الآخر فيسمى « تل مزرور الصغير » .

ويغلب على الظن أن أطلال « سماكة » هي من بقايا مدينة « اسكاف بني الجنيد » ، وهي المدينة التي كانت تقسم في زمن العرب الى قسمين : « الاسكاف العليا » و « الاسكاف السفلى » ، وقد سميت « اسكاف بني الجنيد » نسبة الى رؤساء هذه الناحية الذين اشتهروا بكرمهم . واليك ما كتبه ياقوت عن هـذه المدينة قال : « اسكاف بني الجنيد كانوا رؤساء هذه الناحية وكان فيهم كرم

(١) حول « شط الفرية » المذكور راجع ما تقدم في ص ٤٠٧ .

ونباهة فعرف الموضع بهم وهو اسكاف العليا من نواحي النهروان بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي وهناك اسكاف السفلى بالنهروان أيضاً خرج منهـا طائفة كثيرة من أعيان العلماء والكتاب والعمال والمحدثين لم يتميزوا لنا وهاتان الناحيتان الآن خراب بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية كان قد انسد نهر النهروان واشتغل الملوك عن اصلاحه وحفره باختلافهم وتطرقها عساكرهم فخربت الكورة بأجمعها . وذكر عدد من الاسكافيين المعروفين المنسوبين الى الاسكاف منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن مالك مات بأسكاف سنة ٣٥٢ ، ومحمد بن عبدالله أبو جعفر الاسكافي مات في سنة ٣٠٤ وغيرهم » ومما ذكره ابن سرابيون أن « اسكاف بني جنيد مدينة من جانبين والنهر يشقها » .

و ـ أواخر « طسوج النهروان الأوسط »

ويشاهد في أواخر « طسوج النهروان الأوسط » نهران رئيسيان يتفرعان من جنوب أطلال « سماكة » (اسكاف بني الجنيد) ، يأخذ أحدهما من الضفة الشرقية لمجرى النهروان ، والثاني من ضفته الغربية ، فيرويان الأراضي الواقعة على جانبي النهروان في الحدود الجنوبية لطسوج « النهروان الأوسط » . ويعرف النهر الشرقي اليوم باسم « نهر رشيد » ، وهو يتفرع من مجرى النهروان في نقطة تقع على مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات ونصف الكيلومتر من جنوب « أطلال سماكة » ، أي عند الكيلومتر (١٨٦) من مجرى النهروان . ويمتد هذا الفرع موازياً مجرى النهروان من جهة الشرق حتى اذا ما سار حوالي عشرة كيلومترات في هـذا الاتجاه وصار أمام الكيلومتر (١٩٥) من مجرى النهروان انقسم الى شعبتين تمتدان جنوباً لأرواء الأراضي الزراعية الواقعة في تلك الجهة ، وهي الأراضي الكائنة في أواخر « طسوج النهروان الأوسط » من جهة الشرق والتي تمتد الى قرب « ايشان المالح » . ويشاهد في نقطة انقسام هذا الفرع أطلال قديمة تعرف باسم « تل مياح » يستدل منها على أنه كانت

هنالك قرية ونواظم على فوهتي الشعبتين المذكورتين لتقسيم المياه وتوزيعها بينهما . والى الجنوب من صدر « نهر رشيد » بحوالي كيلومتر ونصف الكيلومتر يتفرع النهر الغربي ، وهو النهر المعروف اليوم باسم « نهر عكاب » ، فيسير هذا النهر هو وفروعه في الاتجاه الجنوبي لارواء الاراضي الواقعة بين ضفة النهروان اليمنى وبين ضفة نهر دجلة اليسرى التي تمتد الى المنطقة المجاورة لمدينة « العزيزية » الحالية ، وهي الاراضي المكائنة في اواخر « طسوج النهروان الاوسط » من جهة الغرب . اما الفروع التي كانت تتشعب من « نهر عكاب » فأهمها الفرع المعروف اليوم باسم « نهر عدلة » الذي يمتد جنوباً الى جهة مدينة العزيزية الحالية ، ويشاهد جدول كبير في هذه المنطقة يعرف اليوم بين الاهلين باسم « خيط شعبلة » ، ومع ان معظم اقسامه متقطعة الا انه يستدل من تخطيطه انه كان من جملة التشعبات التي كانت تتفرع من « نهر عدلة » المار الذكر (راجع اللوحة رقم ٥) .

ويلاحظ ان فيضانات نهر دجلة المتتابعة قد محت معظم معالم العمران القديم في هذه المنطقة نظراً لانخفاض أراضيها ، ولدينا من الدلائل على ان مساحة غير قليلة منها كانت قبل ان تنشىء الحكومة العراقية السدود على ضفة النهر تشكل اهواراً واسعة ، وقد ايد ذلك فيليكس جونس اثناء زيارته لهذه المنطقة قبل حوالي مئة عام ، فذكر ان المياه كانت تغطيها في اكثر المواسم وبذلك محت معالم معظم الآثار الواقعة هناك ، ومع ذلك نجد ان التلول الاثرية المرتفعة وضفاف الانهر العالية لا تزال ماثلة للعيان وهي منتشرة في كل انحاء هذه البقعة تقريباً .

ومن أهم المواقع التاريخية في هذه المنطقة ديران كانا يقعان على ضفة نهر دجلة يعرف اولهما باسم « دير قنّى » والثاني باسم « دير العاقول »، وكان يجاور هذين الديرين بساتين وقرى كانت تستمد المياه من فروع « نهر عكاب » المتقدم

الذكر . وكان العمران الذي في جوار « دير العاقول » يعرف باسم مدينة « دير العاقول » نسبة الى « دير العاقول » ، وكانت هـذه المدينة من اهم مدائن النهروان الاوسط .

ز ـ « دير قنّى »

يقع هذا الدير في الجانب الشرقي من دجلة في موضع الاطلال المعروفة بين الاهلين اليوم باسم « تلول الدير » ، وهذه كائنة في شمال العزيزية الحالية على نحو تسعين كيلومتراً من جنوب بغداد ، وتبعد عن ضفة دجلة الحالية نحو كيلومترين ؛ والظاهر ان الدير كان عند تأسيسه اقرب الى النهر مما هو الآن . وتروي سير القديسين ان موضع الدير المذكور كان بالاصل موضع بيت النار المجوسي وان امرأة نبيلة تدعى قوني وهبته الى مار ماري فأسس فيه هذا الدير ، وتذهب الرواية الى ان مار ماري هـذا كان قد شفاها من مرض عضال كانت مصابة به . وقد ذهب بعض المحققين من الافرنج الى ان « اطلال الدير » من بقايا مدينة « سيتاس » التي ذكرها زينفون في وصف حملة العشرة آلاف المشهورة ، وهي الحملة التي قام بها كورش الصغير في اليونان في سنة ٤٠١ قبل الميلاد ضد اخيه ارتاكسركس للاستيلاء على عرش المملكة الفارسية في بابل . وقد يكون في ذلك شيء من الصحة ، اي انه يحتمل ان يكون موضع « اطلال الدير » موضعاً لعمران قديم يرجع الى عدة قرون ما قبل الميلاد ، وذلك اذا سلمنا بالنظرية القائلة ان معظم العمران القديم كان ينحصر في مواضع معينة ، فكلما خرب بناء ما وهجره ساكنوه بنى الخلف ابنيتهم فوق الانقاض القديمة (١) .

وجاء فيما ذكره الشابشتي في كتابه « الديارات » (ورقة ١١٦) ان دير قنّى على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي بينه وبين دجلة ميل

(١) حول مدينة « سيتاس » المذكورة ، انظر كتابنا « وادي الفرات » الجزء الثاني ص ٢١ و ٢٣ و ٢٤ .

ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد[١] . ويصف لنا ابن سرابيون المواقع التي يمر بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من بغداد بقوله : « واذا ما تتبعنا مجرى دجلة فالمنحدر يمر الى السيب[٢] ودير العاقول والصافية ودير قنّى وهانية وجرجراي والنعمانية ».[٣] وقد اشار القزويني في كتابه « آثار البلاد» الى قرية باسم « بنارق » تقع مقابل «دير قنّى» على دجلة بقوله « ان بنارق قرية بين بغداد والنعمانية ، مقابل دير قنى ، على دجلة ، وهي الآن خراب . »[٤] واليك ما كتبه ياقوت في معجمه عن «دير قنّى» ، قال : « ويعرف بدير مرماري السليخ ... قال الشابشتي هو على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين

---

(١) تقدر مسافة البريد بين الستة أميال والاربعة عشر ميلا ، فقد أيد ياقوت هذا الخلاف بقوله : « وأما البريد ففيه خلاف وذهب قوم الى انه بالبادية اثنا عشر ميلا وبالشام وخراسان ستة أميال » . وأضاف الى ذلك قوله : « والسفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة اربعة برد ثمانية واربعون ميلا بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة » . وقد قدر ياقوت المسافة بين بغداد ومكة المكرمة بالفراسخ والاميال والبرد قال : « من بغداد الى مكة مائتان وخمسة وسبعون فرسخاً وميلان ويكون اميالا ثمانمائة وسبعة وعشرين ميلا وهذه عدة ثمانية وخمسين بريداً واربعة اميال . ويساوي الميل العربي حسب التقدير المتفق عليه من قبل العلماء والمحققين حوالي الفي متر (١٩٥٧ر٨ متراً) اما الفرسخ فيساوي حوالي ثلاثة اميال انكليزية .

(٢) يستخلص مما كتبه المؤرخون ان مدينة « السيب » هذه كانت تعرف باسم « سيب بني كوما » ، وتقع على شاطيء دجلة الايسر على الطريق النهري بين « المدائن » و « واسط » ، فذكر قدامة بن جعفر ان « سيب بني كوما » تقع على بعد سبعة فراسخ من « المدائن » وعلى بعد اربعة عشر فرسخاً من بغداد (كتاب « الخراج» ص ١٩٣ — ١٩٤) . وقد وصف ابن رسته المواضع بين بغداد وواسط قال : « تبدأ من المدائن فتمر بقباب حميد ومنه الى سيب بني كوما تسير حتى تنتهي الى واد يقال له براز الروز وينصب في دجلة فتعبر بالسفن حتى تنتهي الى سيب بني كوما وكان بهذا الموضع وقعة الصفار مع الخليفة (وقعة سنة ٢٦٢ هـ في عهد المعتمد) وفيها اشجار الزيتون » (كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ١٨٦ — ١٨٧) .

(٣) حول « دير العاقول» و « الصافية » و « هانية » و« جرجراي » و « النعمانية» راجع البحث التالي الخاص بكل منها في هذا الفصل .

(٤) كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » (طبعة وستنفلد) ص ١٠٦ .

النعمانية وهو في الجانب الشرقي ممدود في اعمال النهروان وبينه وبين دجلة ميل وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها الصافية وقـــد خربت[1] ويقال له دير

---

(١) يلاحظ ان ياقوت بعد ان يذكر هنا ان قرية الصافية تقع على الضفة اليمنى من دجلة مقابل « دير قنى » مستنداً بذلك الى قول الشابشتي يعود فيذكر في مادة « الصافية » انها « بليدة قرب دير قنى في اواخر النهروان قرب النعمانية ... كانت مشرفة على دجلة وقد خربت مع خراب النهروان وآثار حيطانها باقيـة الى الآن . » وقد ايد ذلك ابن عبدالحق بقوله ان الصافية « بليدة كانت قرب دير قنى في اواخر النهروان مقابل النعمانية . » ونستخلص من قولي ياقوت وابن عبدالحق ان الصافية كانت على الضفة اليسرى من دجلة في جنوب « دير قنى » بين « دير قنى » والنعمانيـة وانها كانت تستمد مائها من النهروان . اما ابن سرابيون فقد عين موضعها بين « دير العاقول » و « دير قنى » ولم يتطرق الى ذكر الضفة التي كانت عليها بالنسبة الى نهر دجلة ، الا ان هناك ما يدل على ان رأي ياقوت الاخير القائل بوقوع الصافية على الضفة اليسرى من نهر دجلة في جنوب « دير قنى » اقرب الى الواقع ، اذ يوجد نهر قديم على الضفة اليسرى من دجلة في جنوب « دير قنى » (تلول الدير) وجنوب العزيزية الحالية مباشرة يعرف اليوم بين الاهالي باسم « نهر الصافي » ، ولعل هذه التسمية نسبة للصافية التي كانت تقع في هذا الموضع نفسه . وقد بحث الاستاذ المحقق السيد يعقوب سركيس في موضع « الصافية » فذكر ان هناك موضعاً باسم « الصافية » يقع على بعد عشرين كيلومتراً من شمال « تلول الدير » ويستنتج انه لا يمكن ان يكون موضع « الصافية » التي نحن بصددها لوقوعه على مسافة غير قليلة فوق « دير العاقول » . ولم يتيسر للاستاذ ان يهتدي الى « نهر الصافي » جنوب « تلول الدير » مباشرة ، وهو النهر الذي اشرنا اليه واثبتنا موقع الصافية فيه (راجع مجلة الاعتدال ، العدد الصادر في شهر آب ١٩٣٧) .

وقد ذكر الطبري في كلامه عن الزط في سنة ٢١٩هـ . موضعاً آخر باسم « الصافية » يقع باسفل واسط بقوله : « ... ضرب عجيف عسكره بقرية اسفل واسط يقال لها الصافية ... » ولعل التل المعروف اليوم باسم « ايشان ابو صافي » الواقع على بعد اربعة كيلومترات من شمال شرقي نهر دجلة القـــديم المسمى اليوم « شط الدجيلة » (حول شط الدجيلة راجع البحث التـــالي الخاص بتطورات مجرى دجلة في اواخر النهروان في هذا الفصل) وعلى مسافة حوالي ٣٥ كيلومتراً من صدر الشط المذكور هو من بقايا قرية الصافي هذه ، ويلاحظ ان ايشان « ابي صافي » يقع فوق « تلول المنارة » (مدينة واسط) ، وليس باسفلها كما جاء في وصف الطبري (راجع البحث التالي الخاص بمدينة واسط في هذا الفصل) . ويتكون « تل ابي صافي » المذكور=

الأسكون ايضاً ... وبالقرب منه دير العاقول وهو دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء وفيه مائة قلاية لرهبانه وهم يقبايعون هـذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين ديناراً وفي وسطه نهر جار ... هذه صفته قديماً واما الآن فلم يبق من ذلك غير سوره وفيه رهبان صعاليك كانه خرب بخراب النهروان ... وقد نسب اليه جماعة من جلة الكتّاب... والمنحدر في دجلة يرى نوره من بُعد وقد وصفته الشعراء ... فقال ابن جهور وهو ابو عليّ محمد بن الحسن القمّي :-

يا منزل اللهو بدير قنّى ... قلبي الى تلك الربا قد حنّا
سقيا لأيامك لما كنا ... نختار منـك لذة وحسنا

وله ايضاً :

وكم وقفـة في دير قنى وقفتها ... اغازل ظبيا فاتر الطرف احورا
وكم فتكة لي فيه لم أنس طيبها ... أمت به حقا واحييت منكرا (١)

وكان الى جانب « دير قنى » قرية كبيرة تعرف ايضاً باسم (دير قنى » ينسب اليها عدد من الكـتاب والوزراء . وقـد ذكرها الطبري بقوله : « ان ابا احمد ابن المتوكل كان بالفرك ، فأعد الشذا والسميريات والمعابر والسفن للرحيل لمحاربة

= من اطلال واسعة تبلغ مساحتها حوالي ٠٠ ر١٨٠ م٢ (زهـــاء ٧٠ مشارة) وتشاهد آثار نهر قديم يتفرع من الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم (شط الدجيلة) وينتهي الى التل المذكور ويسمى الاهلون هذا النهر « كود ابي عنيزة » .

(١) من اراد التوسع في موضوع هذا الدير فليراجع المقالة النفيسة التي نشرها الاستاذ ميخائيل عواد في مجلة « المشرق » لسنة ١٩٣٩ بعنوان « دير قنى، موطن الوزراء والكتاب ، ومعقل المسيحية في العراق » ، وليراجع ايضاً « كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري (طبعة مصر) فيجد في حاشية الصفحة ٢٥٦ منه قائمة بالمراجع التاريخية الخاصة بدير قنى ودير العاقول .

صاحب الزنج ، فصار الى رومية المدائن ، ثم صار منهـــا فنزل بالسيب ثم دير العاقول ثم جرجرايا ثم قنى »[1] ، وأشار ابن عبدالحق الى ان هذه القرية كانت من قرى النهروان .

ومما يلفت النظر ان فيليكس جونس توجه نظره الى التل الأثرى المعروف اليوم بين الاهالي باسم « تل قماز » فثبت موقع « دير قنى » فيه ، و « تل قماز » هذا يقع شرقي النهروان على مسافة حوالي أربعين كيلومتراً من جنوب شرقي موضع « تلول الدير » التي ثبتنا « دير قنى » فيها ، ولعله كان مدفوعاً في التوصل الى هـــذا الرأي بوجه التقارب بين القسميتين ، تسمية « قنى » وتسمية « قماز » ، ويتضح لنا مما تقدم ان هذا الاستنتاج بعيد كل البعد عن الواقع لانه لا ينطبق على الاوصاف التاريخية المتقدمة . اما لي سترانج فقد رجح وقوع « دير قنى » في موضع ما من جنوب « تلول الدير » ، اما « تلول الدير » فقد اعتبرها من بقايا « دير العاقول » .

ح ـ « دير العاقول »

اما دير العاقول فيستفاد من روايات المؤرخين العرب انه يقع على بعد فرسخ واحد من شمال « دير قنى » وقد كان بالاصل محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة مثل ما كان عليه وضع « دير قنى » ثم ابتعدت دجلة عنه فاصبح على بعد ميل عنها ، ويقول ياقوت عن هذا الدير : « دير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطيء دجلة كان ، فاما الآن فبينه وبين دجلة مقدار ميل وكان عنده بلد عامر واسواق ايام كون النهروان عامراً فاما الآن فهو بمفرده في وسط البرية وبالقرب منه دير قنى ... وفيه يقول الشاعر :

فيك دير العاقول ضيّعت ايا ... مي بلهو وحث شرب وطرف

---

(١) الطبري (٣ : ١٩٦١) .

وندماي كل حر كريم حسن دلّه بشكل وظرف
بعد ما قد نعمت في دير قنى معهم قاصفين احسن قصف
بين ذين الديرين جنة دنيا وصفها زائد على كل وصف

وينسب الى دير العاقول الذي بنواحي بغداد جماعة . »

ووصف ابن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٩ هـ « دير العاقول » بقوله : « دير العاقول اسفل من المدائن باثني عشر فرسخاً والى جانبه قرية كبيرة اخرجت عدة من الكتاب والوزراء ، وهو حسن البناء ، راكب على دجلة . »[١]

وقد ورد ذكر موقع « دير العاقول » في خارطة « صورة العراق » لابن حوقل فرسم موقعه على جانب دجلة الايسر شمال « جبّل » بين « جبّل » و « كلواذى » .[٢]

ونستنبط من المعلومات التاريخية المتوفرة ان هناك مدينة مهمة كانت تقع في جوار « دير العاقول » ، وكانت تعرف باسم « مدينة دير العاقول » نسبة الى الدير المذكور ، والظاهر ان هذه المدينة كانت المركز الرئيسي لطسوج « النهروان الأوسط » .

وكانت مدينة « دير العاقول » هذه من الثغور ذات المآصر فكانت الضرائب والعشور تجبى عندها ، ذكر ابن رسته مآصرها بقوله : « وبدير العاقول مسجد جامع واسواق ومآصر ، وبها اصحاب السيارة[٣] ومأصر على دجلة »[٤] .

(١) راجع كتابه « مسالك الابصار في ممالك الامصار » (طبعة مصر) الصفحة ٢٥٦ .
(٢) حول مدينة « جبل » راجع البحث التالي الخاص بها في هذا الفصل ، اما حول مدينة « كلواذى » فراجع ما تقدم في ص ٣٦٢-٣٦٣ (راجع خارطة « صورة العراق » لابن حوقل في الفصل الحادي عشر من الكتاب) .
(٣) السيارة ضرب من السفن النهرية في ايام العباسيين . حول انواع السفن في ذلك الزمن راجع مقالة حبيب زيات في مجلة « لغة العرب » (٥ : ١٩٢٧) ص ٤٦١ ـ ٤٦٥ بعنوان « السفن والمراكب في عهد العباسيين » .
(٤) كتاب « الاعلاق النفيسة » الصفحة ١٨٦ .

وقد أشار ابن رسته ايضاً الى قرية كانت تقع بجنب « دير العاقول » تسمى « الصيادة » وصفها بقوله انها قرية كبيرة غنّاء .

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان مدينة « دير العاقول » كانت على الطريق العام بين « المدائن » و « واسط » ، وان الطريق المذكور كان ينقسم الى خمس مراحل تقع المرحلة الأولى منه في « مدينة دير العاقول » ، هذا فضلاً عن انها كانت المدينة الرئيسية في « طسوج النهروان الاوسط » ، وقد وصفها اليعقوبي بقوله انها « مدينة النهروان الاوسط وبها قوم دهاقين[1] اشراف »[2].

اما موضع « دير العاقول » وموضع المدينة المجاورة للدير المذكور فقد ثبتهما البعض في نفس موضع « اطلال الدير » التي توصلنا الى انها موضع « دير قنى » ، على اننا نرى في هذا الرأي تساهلاً كبيراً لعدم انطباقه على الاوصاف التي دونها لنا المؤرخون ، وهي الاوصاف التي تؤيد وقوع « دير العاقول » في شمال « دير قنّى » . فقد سبق وذكرنا بقول الشابشتي الذي يؤيد وقوع « دير العاقول » على بعد بريد منه[3] ويقول ياقوت الذي يثبت موضعه على بعد فرسخ من « دير قنى » شمالا[4] . ونستخلص من تتبعاتنا في هذه المنطقة ان موضع « دير العاقول » يمكن تعيينه في التل المعروف اليوم باسم « تل ابي صخير » ، وهو التل الواقع في شمال « تلول الدير » بحوالي خمسة كيلومترات ، ويبعد موقع هذا التل عن ضفة نهر دجلة الحالي حوالي كيلو.ترين . وتوجد في جنوب غربي « تل ابي صخير » آثار ابنية قديمة يرجح انها من بقايا مدينة « دير العاقول » (راجع اللوحة رقم ٥) .

---

(١) يقصد هنا بالدهاقين النبلاء من الفرس الذين لم كانوا الملاكين .
(٢) راجع كتاب « البلدان » لليعقوبي (طبعة النجف) الصفحة ٨٣ .
(٣) انظر ما تقدم في صفحة ٤١٥
(٤) انظر ما تقدم في ص ٤١٤ و ٤١٨

وكان فيليكس جونس من القائلين بان « دير العاقول » يقع في « تلول الدير » ، أما « دير قنّى » فثبت موضعه في « تل قاز » كما تقدم[1]، وقد أيد لي سترانج رأي فيليكس جونس فيما يختص بموضع « دير العاقول » ، أما « دير قنّى » فكان يرى أنه لابد أن يكون في موضع ما من جنوب « تلول الدير ». وقد شارك الاستاذ المحقق السيد يعقوب سركيس لي سترانج في رأيه هذا[2].

ط ـ « مدينة همانية »

وكان يقع على حوالي فرسخين من جنوب « دير العاقول » و « دير قنّى » بلدة مهمة على ضفة نهر دجلة اليمنى تعرف باسم « همانية » أو « همينيا » . وقد حافظت هذه المدينة على اسمها القديم حتى يومنا هذا ، إذ نجد أطلالها ماثلة للعيان على الضفة الشرقية من مجرى دجلة الحالي في جنوب العزيزية وهي تسمى « تلول همينية » . ويلاحظ أن نهر دجلة قد تحول عن عقيقه القديم في هـذا القسم بحيث أصبحت أطلال المدينة على الضفة الشرقية من نهر دجلة بعد ان كانت على ضفته الغربية . وكان المجرى القديم للنهر يؤلف في هذا الموضع شبه جزيرة وان مدينة « همانية » كانت تقع في وسطها على الضفة الغربية من النهر . ولا تزال آثار شبه الجزيرة هذه تشاهد على الضفة اليسرى من مجرى دجلة الحالي وتسمى « شط الاعمى » (راجع اللوحة رقم ٥) .

وقد وصف ياقوت بلدة « همانية » بقوله انها « قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية في وسط البرية ليس بقربها شيء من العمارات وهي في ضفة دجلة ... وكان أول من بناها بهمن بن اسفنديار ملك الفرس » ، ووصفها ابن عبد الحق في مادة « همانية » كما يلي : « همانية قرية كبيرة في ضفة دجلة فوق النعمانية

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٤١٨

(٢) راجع مجلة الاعتدال (العدد الصادر في شهر آب ١٩٣٧) الصفحة ١٩٦ .

وربما قيل صحيفا بالياء هي هانية التي تقدمت بين المدائن والنعمانية . » ويظهر ان البلدة كانت من المدن المهمة في أواخر القرن الثاني الهجري بدليل ان زبيدة أم الأمين وولدي الأمين موسى وعبد الله نقلوا في حراقة إلى « صحيفا » على أثر مقتل الأمين[1].

ي ـ تطورات مجرى دجلة في أواخر النهروان

بحثنا فيما تقدم عن الطسوجين ، « طسوج النهروان الأعلى » و « طسوج النهروان الاوسط » ، وبقي علينا أن نبحث عن « طسوج النهروان الأسفل » ، وهو الطسّوج الواقع في أواخر النهروان عند مصبه في دجلة ، وقبل ان ننتقل إلى هذا البحث رأينا أن نستعرض التطورات التي اعتورت عقيق نهر دجلة في هذا الجزء من مجراه ليقف القارىء على تطورات موضع مصب النهروان في مختلف الادوار بالنسبة إلى نهر دجلة .

١ ـ الطور الاول

يستفاد مما رواه المؤرخون أن نهر دجلة في قسمه الأخير من مجراه ، وهو الجزء الذي كان ينتهي النهروان في جواره ، كان في قديم الزمن يجري في غير مجراه الحالي ، وقد سجل التاريخ أربعة تطورات اعتورت مجراه في هذا القسم منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى الآن . فالطور الأول الذي تنحصر فترته بين الالف الثالث قبل الميلاد ونهاية الالف الاول قبل الميلاد هو الطور الذي كان يجري فيه نهر دجلة في اتجاه شط الغراف الحالي أو قريباً منه ، فيمر بمدينة « لكش » القديمة (تلو)[2] ثم يصب في الخليج بعد ان يتلقى المياه من ذنائب الفرات ،

---

(١) راجع كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الاثير الجزء السادس الصفحة ٢٠٧ .

(٢) تقع أطلال « لكش » في شمال شرق الشطرة الحديثة على حوالي عشرين كيلومتراً منها ، ويعتقد ان تاريخها يرجع الى حوالي سنة (٣٠٠٠ ق. م.) . وتدل الروايات=

حيث كان ساحل الخليج في شمال حده الحالي متقدماً إلى قرب « الناصرية » الحديثة ، هذا في حين أن منطقة العمارة الحالية التي يجري فيها نهر دجلة في الوقت الحاضر كانت عبارة عن منطقة واسعة من الأهوار تتصل بالبحر جنوباً ، وكانت هذه الاهوار تتغذى من المجاري التي تأتي من جبال إيران من جهة الشرق كما كانت تتلقى بعض المياه التي كانت تتسرب اليها من نهر دجلة من الجهة الشمالية. ويقال ان مجرى لكش كان قد فتحه بالاصل احد حكام « لكش » المدعو « انتمينا » لجلب المياه من دجلة بغية استغلال الاراضي الزراعية في تلك المنطقة . وتدل المعلومات التاريخية على ان ساحل البحر كان في أوائل الألف الأول قبل الميلاد يسير في شرق الحويزة وقلعة صالح ثم يمتد موازياً الجبال في الاتجاه الشمالي الغربي وبعدها ينعطف الساحل البحري نحو الجنوب الغربي فيقطع شط الغراف في جنوب القطرة ويمتد إلى شرق الناصرية ومنها يسير نحو الجنوب حتى يصل منتهى خليج الكويت .

٢ ـ الطور الثاني

اما الطور الثاني من أطوار نهر دجلة في هذا القسم فهو الطور الذي عرج

= التاريخية على انها كانت من الموانىء البحرية المهمة على الخليج في ذلك الزمن كما كانت من أهم المدن السومرية ، وقد استولى حكامها على بعض المدن القديمة المجاورة ، ولعل « أور » نفسها كانت من بين المدن التي أخضعها حكام « لكش » الى سلطانهم. وقد أجريت فيها بعثات فرنسية تنقيبات مهمة نشرت نتائجها في كتاب حديث باللغة الفرنسية لمؤلفه اندري بارو (André Parrot) عنوانه :
«Tello-Vinght Campagnes de fouilles» Paris, 1949.
ويعتقد الاستاذ السيد يعقوب سركيس ان كلمة « تلو » محففة من « تل هوارة » وان أطلال « تلو » تقع في نفس موضع « تل هوارة » الذي ذكره ياقوت بقوله انه من قرى العراق ، وهو التل الذي ذكره التنوخي (٣٨٤ هـ = ٩٩٤ م) أيضاً فسماه « تلهوار » وعين موقعه على نحو فرسخين من تل يقال له « تل ريحا » (راجع مقال « تلوهو تل هوارة » للاستاذ يعقوب سركيس في كتابه « مباحث عراقية » ص ٢٩٣) .

فيه المجرى جانباً باتجاه الشرق متبعاً اتجاه نهر العمارة الحالي أو ما يقرب من اتجاهه . ويغلب على الظن ان مجرى نهر دجلة أخذ يتحول إلى هذا الاتجاه بعد ان ارتبط مصيره بالفرات حيث تكاثرت مع مرور الزمن كميات الطمي في قسمه الاسفل الذي كان يلتقي بنهر الفرات في جوار « أور » ، الامر الذي أدى إلى انتعاش الفرع الشرقي من نهر دجلة ، أي الفرع الذي كان يتفرع من مجرى النهر قرب الكوت ويصب في منطقة الأهوار الشرقية الواقعة في جوار منطقة العمارة الحالية ، حتى صار ذلك الفرع بعد مرور بعض الزمن يسحب معظم مياه نهر دجلة متوسعاً على حساب المجرى الغربي الذي يسير في اتجاه « لكش » ، وكانت النتيجة ان جف المجرى الغربي تدريجياً وانقطعت عنه المياه في الموسم الصيفي ، فانتقل العمران إلى جهة الفرع الشرقي الذي تكونت فيه أراضي رسوبية جديدة وظهرت فيه امكانيات زراعية خلابة بعد انسحاب ساحل البحر إلى الجنوب . ويظن أن هذا التحول من المجرى الغربي إلى المجرى الشرقي قد تم نهائياً حوالي أوائل العهد الميلادي . وقد بقي نهر دجلة في مجراه الجديد نحو ستة قرون ازدهرت خلالها عدة مدن وقرى على ضفافه أهمها «المذار» على الجانب الشرقي[1] و « العبدسي » على الجانب الغربي[2] ، وكانت المنطقة الواقعة في جهة «المذار»

---

(١) وصف ياقوت « المذار » بقوله : « والمذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار اربعة أيام وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد انفق على عمارته الأموال الجليلة وعليه الوقوف وتساق اليه النذور وهو قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب » . ونظير هذا ما ذكره ابن عبد الحق حول المدينة نفسها . ولا يزال القبر المذكور يسمى الى الآن « قبر عبدالله بن علي » ويزار ، أما موضعه فيقع على الضفة الشرقية من دجلة في جنوب قلعة صالح على مسافة حوالي تسعة كيلومترات منها . ويتضح مما تقدم ان « المذار » كانت تقع في موضع القبر المذكور (راجع البحث التالي الخاص بميسان في هذا الفصل) .

(٢) ذكرهما ياقوت بقوله : « العبدسي هو تعريب الدباسي وهو اسم مصنعة كانت بزستاق كسكر خربها العرب وبقي اصلها على ما كان حولها من العمارة » .

تعرف باسم « جوخى »[1] ، أما بعد ذلك فقد عاد نهر دجلة إلى عقيقه القديم باتجاه منطقة « لكش » ، وهي المنطقة التي كانت تعرف في زمن العرب باسم « كسكر »[2] وقد انشئت فيها مدينة « واسط »[3] ، وبهذا يدخل مجرى النهر طوره الثالث وهو الطور الذي يبدأ في صدر الاسلام . أما المجرى الذي

---

(١) ذكرها ياقوت وابن عبد الحق بقولهما : « جوخا اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد بالجانب الشرقي منه الراذانان وهو بين خانقين وخوزستان ... قالوا ولم يكن ببغداد مثل كورة جوخا كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم حتى صرفت دجلة عنها فخربت » . يتضح من ذلك ان المنطقة الزراعية الواقعة في الجانب الشرقي من نهر دجلة كلها بما فيها أراضي « الراذانين » الواقعة شرق خانقين كانت تعرف باسم « جوخى » ، ويظهر ان هذه التسمية قديمة ترجع الى ما قبل العهد الاسلامي حيث قيل ان قباذ بن فيروز كان قد « انزل أصحاب الصناعات بطن جوخى » (راجع ما تقدم في ص ٣٩٨) .

وقد ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج « ان حذيفة بن اليمان كان في عهد عمر بن الخطاب عاملا على ما وراء دجلة من جوخى ، وان عمر بن الخطاب لما أراد أن يمسح السواد أرسل الى حذيفة ان يبعث بدهقان من جوخى ببعثه ومعه ترجمان من أهل الحيرة فلما قدما عليه قال كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم في أرضهم ؟ قالوا: سبعة وعشرين درهماً فقال عمر : لا أرضى بهذا ووضع على كل جريب عامر او غامر بلغه الماء قفيزاً من حنطة او قفيزاً من شعير ودرهماً ، فسجا على ذلك . ويضيف أبو يوسف الى ذلك قوله أن « جوخى » كانت يؤمئذ عامرة « فخربت بعد ذلك وغارت مياهها وقلت منافعها » .

ويوجد اليوم في شمال غربي مدينة الشطرة الحالية تل أثري قديم يسمى « تل جوخه » ، وهو التل الذي تقوم فيه مدينة (اوما) القديمة التي يرجع تاريخ انشائها الى الالف الثالث قبل الميلاد ، ولا شك ان تسمية « جوخه » هذه حديثة بالنسبة الى تاريخ التل نفسه ولعلها انتقلت من الجانب الشرقي الى هذا الموضع .

(٢) ذكرها أبو يوسف في كتاب « الخراج » (ص ٣٨) قال : «وحدثني حصين ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان قد استعمل النعمان بن مقرن على كسكر فكتب الى عمر رضي الله تعالى عنه : يا أمير المؤمنين ان مثلي ومثل كسكر مثل رجل شاب عنده امرأة تتلون له وتتعطر وانشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثني في جيش من جيوش المسلمين » .

(٣) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « واسط » في هذا الفصل .

كانت عليه « المذار » و « العبدسي » فصار يعرف في هذا الطور باسم « دجلة العوراء » لسبب انقطاع المياه عنه . ويرجح ان بعض الاراضي الواقعة عليه صارت بعد تحول مياه دجلة عنها تروى من ذنائب النهروان .

٣ ـ الطور الثالث ـ العهد الاسلامي

ننتقل الآن إلى الطور الثالث ، وهو الدور الاسلامي ، الدور الذي تحول فيه مجرى دجلة الى الغرب مرة اخرى عائداً إلى عقيقه القديم الذي كان يسير فيه في طوره الاول . وتدل الروايات التاريخية على ان هذا التحول وقع في أوائل القرن السابع الميلادي ، أي في السنين الاولى من الهجرة ، إذ شهدت البلاد خلال هذه الفترة فيضاناً شديداً أدى إلى وقوع تطورات خطيرة في كلا المجريين ، الفرات ودجلة ، فخرب الجداول والسدود واستولى على الاراضي المنخفضة الواقعة بين الكوفة والبصرة من جهة وبين الشطرة والقرنة من الجهة الاخرى فجعل منها منطقة واسعة من البحيرات والمستنقعات صارت تعرف في زمن العرب باسم « منطقة البطائح »[1] وقد وصف ابن رسته منطقة البطائح هذه بقوله : « ونهر الفرات ينصب في البطائح بعد ان يتفرع فيصير أنهاراً عظاماً ومصبه في البطائح بموضع كسكر . فالبطائح مجتمع هذه المياه وهي ثلاثون فرسخاً في ثلاثين فرسخاً حد منها جزيرة العرب وحد منها أرض ميسان وحد منها دجلة بغداد وحد منها مصب الفرات والنهروان[2]، وهي خزانة أهل البصرة تجتمع فيها المياه وينبت فيها القصب لمنافعهم ومنها سمكهم من الطري والمالح ... فتلك المواضع

---

(١) حول المراجع عن هـذا الفيضان انظر كتابنا « المصادر عن ري العراق » ص ١٥٩ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٩ ، وكتابنا « وادي الفرات » الجزء الثاني ص ٢٠٧ ـ ٢١١ و ٢٢٢ .

(٢) ان المقصود هنا هو « دجلة » ولعل ورود « النهروان » كان من خطأ الناسخ .

معروفة اليوم في البطائح تسمى سرطغان وطستخان وعقر الصيد من المواضع التي يكون فيها الزط »[1].

والظاهر ان العوامل التي أدت إلى رجوع مجرى دجلة الى عقيقه القديم في جهة « لكش » وتكوّن « البطائح » ترجع بوادرها الى زمن قباذ فيروز (٤٨٨ ـ ٥٣١ م) ، ففي عهده حدثت بثوق في ضفاف نهر دجلة اليمنى أدت إلى غمر مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية في جهة عقيق دجلة القديم قرب « لكش » القديمة . ولما تولى ابنه كسرى أنو شروان عرش المملكة الفارسية أقام سدوداً في مواضع الثغرات لاعادة المياه إلى مجراها صوب « المذار » و « العبدسي » فكان له ما أراد ، إلا أن طغيان المياه في السنة السادسة من الهجرة (٦٢٧ م) سبب حدوث ثغرات واسعة في الضفاف فانتهى الامر الى رجوع نهر دجلة إلى عقيقه القديم صوب أراضي « لكش » القديمة . وقد حاول كسرى أبرويز (٥٩٠ ـ ٦٢٨م) ان يسكر صدر هذا المجري (مجرى لكش) في الموضع الذي عرف فيما بعد باسم « الخيزرانية » لارجاع الماء الى جهة « المذار » في مجرى « دجلة العوراء »، كما أنه جرت محاولات في أوائل العهد العربي لسد هذا المجرى أيضاً إلا أن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل وانتهى الأمر إلى عودة نهر دجلة إلى عقيقه القديم في جهة « لكش » . وقد وصف لنا قدامه بن جعفر هذا التطور بقوله : « وسبب البطائح المبطحة في أرض السواد ان ماء دجلة كان منصباً الى دجلة المعروفة بالعوراء التي هي أسفل البصرة في مسافة مستقيمة المسالك محفوظة الجوانب فلما كان ملك قباذ فيروز (قباذ الأول ٤٨٨ — ٥٣١ ب . م .) انبثق في أسفل كسكر بثق عظيم فأغفل أمره حتى غلب ماؤه واغرق كثيراً من أرضين عامرة كانت تليه وتقرب منه فلما ولي انوشروان ابنه (كسرى الاول ٥٣١ ـ ٥٧٩ م .) أمر بدلك الماء فزحم بالمسنيات حتى عاد بعض

---

(١) راجع كتاب « الاعلاق النفسية » ص ٩٤ و ١٨٤ .

تلك الأرضين الى عمارة ثم لما كانت سنة ٦ من الهجرة وهي السنة التي بعث فيها النبي (ص) عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ابرويز (كسرى الثاني ٥٩٠ ـ ٦٢٨ م) زاد الفرات زيادة عظيمة ودجلة ايضاً لم ير مثلها وانبثق بثوق كبار فجهد ابرويز ان يسكرها ... فلم يقدر الماء على حيلة فورد المسلمون العراق وشغلت الفرس بالحرب فكانت البثوق تنفجر ولا يلتفت اليها ويعجز الدهاقين على سدها فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت . »[1]

وهذا نص ما كتبه ابن رسته في وصف التحول والاجراءات المتخذة للحيلولة دون وقوعه ، قال : « ... وكانت البطائح الأولى التي كان يجتمع فيها ماء دجلة قبل تحولها الى ناحية واسط جوخى فيما بين المذار وعبدسي فلما تحولت دجلة انقطع الماء عنها وصارت صحارى ومفاوز يصيب المارة فيها في الصيف سموم شديد ثم ان دجلة هذه التي هي اليوم سكرت من عند الخيزرانية[2] ليعود الماء الى دجلة العوراء وينفذ الى المذار فيصير الى بقية دجلة العوراء فخرقت وانفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما فأعياه ذلك وجرت دجلة في موضعها الذي هو اليوم بين يدي واسط فصارت البطائح هذه التي تكون اليوم فأعورت دجلة من ذلك الموضع المسكور الى مذار وبطلت تلك البطائح التي كانت بجوخى فبقي من دجلة العوراء من المذار الى بحر الهند وذلك في مقدار ثلاثين فرسخاً وهي دجلة البصرة واليه ينتهي مد البحر ومنه يجزر إذا رجع الماء الى البحر . ورام بعد ذلك خالد بن عبدالله ان يسكرها وانفق الاموال فسفت دجلة ذلك البنيان واصله اليوم يرى اذا قل الماء في دجلة بناه من آجر وصاروج[3]

---

(١) راجع كتاب « الخراج » ص ٢٤٠ .

(٢) اطلق عليها اليعقوبي اسم « قناطر الخيزران » (راجع البحث التالي الخاص بوصف اليعقوبي لنهر دجلة بين المدائن وواسط والبحث الخاص بتلول الخيزرانة في هذا الفصل.)

(٣) الصاروج هو النورة واخلاطها من الرماد وغير ذلك (معرب) ويقال صرج الحوض اي بناه بالصاروج .

وربما طفت به السفن المارة »[1]. وقد اشار البلاذري الى محاولة خالد بن عبدالله هذه وفشلها بقوله « ان خالد بن عبد الله القسري كتب الى هشام بن عبد الملك يستأذنه في عمل قنطرة على دجلة فكتب اليه هشام ، لو كان هذا ممكناً لسبق اليه الفرس ، فراجعه فكتب اليه : ان كنت متيقناً انها تتم فاعملها واعظم النفقة عليها فلم يلبث ان قطعها الماء فاغرمه هشام ما كان انفق عليها »[2].

وقد لعب مجرى دجلة الجديد دوراً مهماً في زمن العرب فعلى ضفافه أقيمت عدة مدن وقرى، تمتاز بكونها عربية اسلامية بحتة ، اذ لم تكن دجلة قبل الاسلام تسقي هذا الجزء من سواد العراق . ومن اهم المدن التي ازدهرت على ضفاف هذا المجرى في هـذا العهد مدينة « واسط » التي اتخذها الحجاج عاصمة للقطر العراقي[3] . ويعطينا ابن سرابيون كشفاً بالمواضع التي يمر بها نهر دجلة بعد انحداره من « هانية » بقوله : « يمر (نهر دجلة) الى هانية وجرجراي والنعمانية وجبّل ونهرسابس وفم الصلح ثم يمر الى واسط ثم في وسطها وهي راكبة بشاطئيه ثم يمر الى الرصافة ونهربان (ذكره ابن رسته باسم نهر بين) والفاروث ودير العمال والحوانيت ثم يصب في القطر فم البطيحة »[4].

ويصف لنا اليعقوبي بشيء من التفصيل المدن والقرى التي تمر بها دجلة بعد انحدارها من « المدائن » ، ونظراً لأهمية هذا الوصف رأينا ان ننقله ادناه ، وسنرى كيف ان بعض المواضع المهمة المذكورة فيه لا تزال محافظة على اسمائها الاصلية وان اطلالها ماثلة للعيان على جانبي مجرى دجلة القديم المعروف اليوم باسم « شط الدجيلة » . وهذا نص وصفه قال : ـ

---

(١) راجع كتاب « الاخلاق النفسية » ص ٩٤ ـ ٩٦

(٢) راجع كتاب « فتوح البلدان » في فصل « امر واسط العراق »

(٣) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « واسط » في هذا الفصل .

(٤) راجع البحث التالي الخاص بهذه المدن والقرى في هذا الفصل .

« ومن المدائن الى واسط خمس مراحل اولها دير العاقول وهي مدينة النهروان الاوسط وبها قوم دهاقين اشراف ثم جرجرايا وهي مدينة النهروان الاسفل وهي ديار اشراف الفرس ومنهم رجاء بن ابي الضحاك واحمد بن الخصيب ثم النعمانية وهي مدينة الزاب الاعلى ، ويقرب منها منازل آل نوبخت ، وفي مدينة النعمانية دير هرقل الذي يعالج فيه المجانين ، ثم جبّل وهي مدينة قديمة عامرة ثم ماذرايا وهي منزل اشراف العجم القديمة ثم المبارك نهر قديم ، وبعد النعمانية من الجانب الغربي من دجلة القرية المعروفة بنعمايا د وهي فرضة ينتقل منها مير دجلة الى النيل ، ثم نهر سابس وهي في الجانب الغربي وهي بازاء المبارك لان مدينة المبارك من الجانب الشرقي منها يسلك الى طسوجي بادرايا وباكسايا ، ثم قناطر الخيزران[1] من الجانب الشرقي ، ثم فم الصلح وبه منازل الحسن بن سهل ، والى هذا الموضع صار المأمون لما زار الحسن بن سهل وابتنى بابنته بوران[2] ، ثم واسط وهي مدينتان على جانبي دجلة فالمدينة القديمة في الجانب الشرقي من دجلة (مدينة كسكر) وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي وجعل بينهما جسراً بالسفن ، وبنى الحجاج قصره بهذه المدينة الغربية ... وانما سميت واسط لان منها الى البصرة خمسين والى الكوفة خمسين والى الاهواز خمسين فرسخاً والى بغداد خمسين فرسخاً فلذلك سميت واسط »[3].

ويذكر ابن رسته المواقع التي يمر بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من واسط بقوله : « من واسط نهر بين ومنه الى الصينية[4] ومنه الى الحوانيت

---

(١) سماها ابن رسته « الخيزرانية » (راجع ما تقدم في ص ٤٢٨)

(٢) راجع البحث التالي الخاص بهذه المدن والقرى في هذا الفصل

(٣) كتاب « البلدان » (طبعة النجف الصفحة ٨٣)

(٤) ذكرها ياقوت بقوله : «الصينية بلدة تحت واسط ينسب اليها قوم من أهل العلم منهم الحسن بن محمد بن ماهان الصيني حدث عن احمد بن عبيد الواسطي روى عنه ابو بكر الخطيب وقال كان قاضي بلدته وخطيبها ... ويقال لها أيضاً صينية الحوانيت».

ومنه الى القطر وهـذه القرى من واسط الى هـذا الموضع كلها شرقي دجلة وبالحوانيت اصحاب السيارة والمأصر من قبل السلطان ... »[1]

٤ ـ مدينة واسط

انشئت مدينة « واسط » من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان ، وعلى رأي اكثر المؤرخين انها بنيت سنة ٨٣ هـ(٧٠٢م) . وقد أقام الحجاج فيهـا مسجداً في الجانب الغربي كما شيد فيها قصره ذا القبة الخضراء المعروف بخضراء واسط ، وقد احاطها بسور عظيم ، ونقل أبواباً لقصره وللمسجد الجامع من مدن قديمة كانت عامرة في ذلك الزمان ، مثل « الزندورد » و « الدوقرة » و « دير ماسرجيس » و « سرابيط » فضج أهل هـذه المدن وقالوا : قد غصبتنا على مدائننا ، فلم يلتفت الى قولهم . واتفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة واربعين الف الف درهم . فقال له كاتبه صالح بن عبد الرحمن : هذه نفقة كثيرة ، وان احتسبها لك أمير المؤمنين وجد في نفسه قال : فما نصنع ؟ قال : الحروب لها أجل . فاحتسب منها في الحروب باربعة وثلاثين الف الف درهم . واحتسب في البناء تسعة آلاف الف درهم[2] .

وقد اختار الحجاج الموضع الذي شيّد فيه مدينة « واسط » لوقوعه في

= ولا تزال منطقة الصينية تعرف باسمها الذي كانت تعرف به في زمن ازدهارها فهناك أراض تعرف باراضي « السنية » في وسطها هور يسمي « هور السنية » ، وهذه تقع على حوالي ثلاثين كيلومتراً من جنوب اطلال واسط بميل قليل الى الشرق وعلى حوالي نفس المسافة من تمثال السيد احمد الرفاعي بميل قليل الى الغرب . اما موقع هذه المنطقة بالنسبة الى مجرى دجلة القديم المعروف اليوم باسم « شط الاخضر » فيكون في جانبه الشرقي على حوالي ١٨ كيلومتراً منه (راجع البحث التالي الخاص بشط الاخضر وباطلال واسط وبسيد احمد الرفاعي في هذا الفصل ، انظر أيضاً مرتسم الجزء الاخير من مجرى دجلة في العهد العباسي) .

(١) كتاب « الاعلاق النفيسة » الصفحة ١٨٤

(٢) راجع « معجم البلدان » لياقوت (مادة واسط) ، و « فتوح البلدان » للبلاذري في بحث « امر واسط العراق » .

بقعة متوسطة بالنسبة الى البصرة والكوفة والاهواز وليكون عسكره الاموي بمعزل عن أهل الكوفة . وكانت هـذه البقعة في السابق محوطة بالاهوار والمستنقعات ، تنمو فيها الاعشاب والاقصاب ، حتى كان يطلق عليها قبل بنائها « واسط القصب » ، وكانت على كرش من الارض ، أي ترتفع قليلاً .

وتبلغ مساحة أطلال مدينة « واسط » الممتدة على ضفتي المجرى القديم الذي كانت دجلة تسير فيه في طورها الثالث ، وهو المجرى المعروف اليوم بشط الدجيلة القديم[1] ، اكثر من ثلاثة كيلومترات مربعة (١٢٠٠ مشارة) ، وتمتاز هذه الاطلال في انها تمثل عدة ادوار من ادوار العهد العربي لمدة حوالي الف عام ، كما انها تمتاز في كونها آثار عربية اسلامية بحتة .

وقد عنيت مديرية الآثار القديمـة العامة بالتنقيب في أطلال « واسط » فحفرت فيها ستة مواسم ، امتدت بين سنة ١٩٣٩ و ١٩٤٢ . وقد نشرت تقريراً قيماً بالانكليزية عن اعمال الموسم السادس ، كتبه الاستاذ السيد فؤاد سفر وطبع في القاهرة سنة ١٩٤٥ ، وما زال القسم العربي منه قيد الطبع . ودلت هذه التنقيبات على الكشف عن اربعة جوامع في نفس المنطقة التي انشيء فيها جامع الحجاج ، أي على الضفة الغربية من شط الدجيلة ، يرجع كل منها الى دور خاص من الادوار العربية ، وقد كشفت دائرة الآثار من بين الجوامع الاربعة هذه عن جامع الحجاج وأزاحت عنه الاتربة وبقايا أطلال الجوامع الاخرى التي اشئت في الادوار التي تلي دوره . وجامع الحجاج كما يتضح من المخطط الذي رسمته دائرة الآثار (راجع مخطط جامع الحجاج) مربع الشكل كل جانب منه ٢٠٠ ذراع في داخله أساطين من الحجر الرملي (Sand stone) جميلة الصنع والنقوش ، وهو يتألف من خمس بلاطات في مصلاه وبلاطة في كل من جانبيه

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بآثار مجرى دجلة في طوره الثالث في هذا الفصل

وفي مؤخره ، وفي وسطه صحن واسع مبلط بالآجر المنتظم فيه ميضأة واسعة يأتيها الماء في أنابيب الفخار ويصرف عنها بأنابيب أخرى .

وقد انشئت الأعمدة الحجرية من قطع مستديرة ركبت الواحدة فوق الاخرى وفي كل من هذه القطع ثقب من وسطها وضع فيه قضيب من الحديد ليربط القطع بعضها ببعض ، وقد ثبت القضيب بالرصاص ونقشت الاوجه الخارجية للدعامات بنقوش جميلة مختلفة . وقد اثير البحث عن الاحجار الرملية وعن الموضع الذي جلبت منه ، فبين الاستاذ فؤاد سفر في بحثه عن « واسط » (الطبعة الانكليزية ص ٢٤) ان أقرب موضع توجد فيه هذه الاحجار هو « جبال بشتكو » الواقعة على ثمانين ميلاً من شرق «واسط » ، إلا اننا نرى ان الاحجار الرملية هذه موجودة بوفرة في جبل حمرين على نهر ديالى ، والارجح انها نقلت الى « واسط » بالسفن بطريق ديالى والنهروان (نهر تامرا) ودجلة ، وهو طريق الملاحة الذي كان يستعمل في ذلك الزمن[1] ، إذ لا يمكن أن تكون هذه الاحجار الثقيلة قد نقلت بغير الواسطة النهرية . ولما كان نهر دجلة يجري في جهة واسط في عهد الحجاج وان مجرى العمارة كان قد جف في ذلك الوقت فالطريق الملاحي الوحيد الذي كان يمكن أن يسلك في مثل هذه الظروف هو طريق ديالى والنهروان ودجلة كما تقدم[2] . ومما يجدر ذكره في

---

(١) يقول ابن الجوزي في « مختصر مناقب بغداد » (النسخة التي نشرها الاستاذ الأثري ص ٨) ان المنصور لما اعتزم انشاء مدينة له شاور في ذلك فاتفق رأي القوم على بغداد وقالوا له : ـ « تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط اي دجلة ومن أرمينية وما اتصل بها في تامرا » ذلك مما يدل على ان المجرى الذي كان يبدأ في منابع نهر ديالى الحالي ويمتد الى جبل حمرين ومنه الى النهروان ومن النهروان الى دجلة ، وهو المجرى الذي كان يسمى تامرا ، كان من طرق المواصلات النهرية الرئيسية في ذلك الوقت (راجع البحث الذي تقدم الخاص بالملاحة على النهروان وديالى في ص ٣٨٦) .

(٢) راجع ماتقدم في ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ و ص ٤٠٩

هذا الصدد أن الحكومة العراقية تنقل الآن كميات كبيرة من هذه الاحجار الرملية من جبل حمرين قرب ديالى لاستعماله في انشاء المسفيات على ساحل دجلة في مدينة بغداد .

ومن أهم ما يشاهده الزائر اليوم بين أطلال « واسط » بقايا الباب الاثري الواقع على الطرف الشمالي الشرقي من تلك الاطلال على نحو ١٥٠ متراً من الضفة الشرقية لشط الدجيلة (مجرى دجلة القديم) ، وكان على جانبي هذا الباب منارتان (راجع صورة الباب والمنارتين) ، ويشاهد التفنن في تجميل ذلك الباب والمنارتين باستخدام الآجر المحفور المنقوش بشتى النقوش الهندسية . وكان قد أطلق الأهلون على خرائب « واسط » اسم « قبة المنارة » أو « المنارة » لبروز هاتين المنارتين بين الاطلال ، ولا تزال تعرف أطلال « واسط » بالمنارة حتى يومنا هذا . وقد كشفت مديرية الآثار العامة داخل بناية هذا الباب عن مرقد واسع مثمن الشكل لا زالت اركانه شاخصة ، في داخله ضريح غفل من الكتابة كانت فوقه قبة من بناء الآجر ، إلا انه يظن ـ بناء على ماجاء ذكره في معجم البلدان ـ بأنه ضريح محمد بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . فقد ذكر ياقوت قبة هذا الضريح في مادة الحزامين بقوله : «الحزامون محلة في شرقي واسط واسعة كبيرة لها ذكر في التواريخ كثير كأنها منسوبة الى الذين يحزمون الامتعة أي يشدونها والله اعلم ... وبالحزامين مشهد عليه قبة عالية يزعمون ان بها قبر محمد بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهناك قبر يزعمون انه قبر عزرا بن هارون بن عمران يزوره المسلمون واليهود » . وجاء ذكر قرية باسم « الحوز » متصلة بالحزامين في كتاب المراصد لابن عبد الحق فوصفها بقوله انها « قرية من شرقي مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزامين فهي كالمحلة منها ويقال لها حوز برقة » .

وقد دلت نتائج التنقيبات ان بناية الباب تعود الى الادوار الاولى من تاريخ

« واسط » ، ثم اعيد بناؤها ثلاث مرات ، وعلى هذا فان بناء الباب الشامخ يعود الى الدور الاخير، ويعتقد انه انشيء في حوالي القرن الثالث عشر الميلادي. وقد عثر على عدة قبور ملحقة بهذه البناية فيها الاحجار المنحوتة الدالة على تواريخها وهي تمتد بين سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) و ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) .

وجاء في « مختصر مناقب بغداد» لابن الجوزي ان المنصور لما أنشأ مدينته المدوّرة في بغداد نقل اليها من واسط أبواباً حديدية ركّبها في المنافذ الاربعة التي انشأها في سور تلك المدينة وهذه هي ابواب الحجاج التي يقال ان الحجاج كان قد نقلها الى واسط من مدينة بناها سليمان بن داود[1] .

وقد بقيت مدينة « واسط » في زمن خلفاء بني العباس من المدن الشهيرة ، وفي القرن السابع الهجري اهمل شأن الجانب الشرقي من المدينة فانتقل الناس الى الجانب الغربي ، وبقيت المدينة محافظة على مقامها حتى القرن الثامن الهجري . وبعد هذا التاريخ قلّ شأنها وخفت ذكرها بسبب قلة المياه في المجرى الذي تقع عليه حيث أخذ مجرى نهر دجلة بعد ذلك يتهيأ للرجوع الى عقيقه القديم في الجهة الشرقية أي الى جهة فرع العمارة . وقد وصف المؤرخون مدينة «واسط» في بداية القرن السابع عشر الميلادي فذكروا انها تقع في وسط الصحراء ،ذلك مما يدل على ان المياه انقطعت عن المجرى الذي يسير في اتجاه واسط في ذلك الوقت واتجهت نحو الفرع الشرقي من دجلة في جهة « دجلة العوراء » ، وقد بقيت على هذه الحال حتى يومنا هذا[2] .

لقد حصلت مساجلة في تحقيق موضع « واسط » بين المحقق الدكتور مصطفى جواد من جهة وبين دائرة الآثار العراقية من جهة اخرى، فكانت مطالعة الدكتور مصطفى جواد انه ليس هناك ما يثبت ان موضع « خرائب المنارة »

---

(١) راجع النسخة التي نشرها الاستاذ محمد بهجة الأثري (ص ١٠)

(٢) راجع البحث التالي الخاص بالطور الرابع من تطورات مجرى دجلة في هذا الفصل

أو « قبة المنارة » هو واسط الحقيقية ، ويرى انه من المحتمل ان يكون موضع « خرائب المنارة » من بقايا « قرية عبد الله » التي ذكرها ابن عبدالحق في المراصد بقوله انها « مدينة ذات أسواق وجامع كبير وعمارة ، تحت واسط ، بينهما نحو خمسة فراسخ ... » . أو من بقايا « بلدة المأمن » التي أشار اليها ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٨٠ هـ . بقوله ان موضعها في « نهر جعفر » وهي من اعمال «واسط» بنيت في زمن هولاكو وفيها ديوان وجامع وخان وحمام وسوق . وعلى هذا يرى احتمال كون الباب الاثري الذي تقدم ذكره من بقايا « مدرسة قتلغ شاه » التي انشئت في بلدة « المأمن » وهي المدرسة التي ذكرها ابن الفوطي أيضاً . وقد اجاب الاستاذ فؤاد سفر الذي نقب في أطلال واسط خلال الموسم السادس (سنة ١٩٤٢) على هذه المطالعات ، ومن جملة ادلته على عدم امكان الاخذ برأي الدكتور مصطفى جواد : ١ ـ ان « خرائب المنارة » تشتمل على آثار ومبان تعود الى القرون الستة التي سبقت هولاكو ؛ ٢ ـ ان هذه الخرائب تنتشر لمسافة ثلاثة كيلومترات على طرفي « الدجيلة » (مجرى دجلة القديم) وليس في تلك البقاع خرائب من العصور الاسلامية تبلغ مساحتها وعلو انقاضها حتى نصف مساحة أو علو « خرائب المنارة » ؛ ٣ ـ اتفقت المراجع على ان واسطا ذات شطرين يفصل بينهما نهر دجلة ، وهذا يتفق وخرائب « المنارة » التي على شاطيء الدجيلة . وجاء في المراجع القديمة ان المسجد الجامع في واسط كان في الشطر الغربي منها بعيداً عن الشط وقد تحقق هذا من كون ان في الشطر الغربي لخرائب المنارة بعيداً عن عقيق الدجيلة خرائب مسجد جامع بعض اساطينه من الحجر ؛ ٤ ـ تقع على الدجيلة اطلال « سابس » المدينة التي اجمع جغرافيو العرب على انها كانت على نهر دجلة ؛ ٥ ـ على امتداد الدجيلة اطلال الرصافة ، المدينة التي اتفقت المراجع العربية على وقوعها على نهر دجلة ؛ ٦ ـ وجدت آثار مكتوبة تدل على ان « خرائب المنارة » هي موضع «واسط» ،

ولم توجد آثار مكتوبة تدل على انها غير « واسط »[١] . اما نحن فنرى ان الدكتور مصطفى جواد لم يكن موفقاً فيما ذهب اليه وان الرأي القائل بان خرائب المنارة هي « واسط » الحقيقية أمر لا يقبل الشك ، وقد اهتدينا الى هذا الرأي بعد دراسة دقيقة لجغرافية أنهر « واسط » وتتبع آثار الانهر القديمة في تلك المنطقة وتعيين مواضع المدن والقرى التي لا تزال تحتفظ باسمائها الاصلية . ويكفي المرء أن يتفقد القطع الحجرية المنتزعة من أساطين الجامع التي اكتشفتها دائرة الآثار في موضع « خرائب المنارة » الواقعة على الضفة الغربية من الدجيلة لحصول القناعة التامة من أن تلك الخرائب هي من بقايا واسط ، لأن وزن كل قطعة من هذه القطع الحجرية تبلغ حوالي الطن الواحد ولا يمكن ان تكون قد نقلت هذه الاحجار من محاجرها في المناطق الجبلية الى موضع « المنارة » لانشاء قرية اعتيادية كقرية «عبد الله» أو قرية «المأمن» . وفضلاً عن ذلك ان الرأي القائل باحتمال كون « خرائب المنارة » من بقايا قرية «المأمن» أو قرية « عبد الله » كما ذكر الدكتور مصطفى جواد لا يمكن الأخذ به ، لأن المؤرخين ثبتوا موضع قرية « المأمن » على نهر جعفر في أسفل « واسط » في الطريق الذي بين البصرة وواسط ، وقد وصف نهر جعفر انه أحد ذنائب دجلة ، وكل هذا لا ينطبق على ما نعلمه عن موضع واسط[٢] ، واذا فرضنا ان « خرائب المنارة » هي «قرية عبدالله» التي ثبت موضعها في جنوب واسط على خمسة فراسخ منها ، فذلك يحتم علينا أن نتحرى عن موضع واسط في شمال «المنارة» ، في حين انه لم يكن لها أي أثر هناك . هذا واننا نعتقد أن بحثنا هذا عن جغرافية أنهر واسط وقرى منطقة واسط فيه من الأدلة الكافية على أن « خرائب المنارة »

---

(١) راجع المقال بعنوان « واسط والاخيضر » المنشور في مجلة « سومر » عدد كانون الثاني سنة ١٩٤٧ ، ص ٣ – ١١

(٢) راجع البحث التالي الخاص بقرية « المأمن » في ص ٤٣٨ (حاشية ٣)

هي مدينة واسط الحقيقية ، وان الموضوع لا يدع مجالا للشك أو التردد في هذا السبيل .

٥ ـ الانهر المتفرعة من دجلة في جنوب واسط

وكان في جنوب واسط عدة فروع تتشعب من نهر دجلة من جانبيه فتنتهي كلها الى البطائح ، ومن المؤرخين الذين تطرقوا الى البحث عن هذه الفروع القزويني، فقد ذكر في كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » (الصفحة ١٧٨) بعضها بقوله : « واذا انفصل (نهر دجلة) عن واسط اقتسم الى سبعة انهر عظام تحمل السفن منها نهر ساسي ونهر الغراف[١] ونهر دقلة[٢] ونهر جعفر[٣]

---

(١) وصف ياقوت « نهر الغراف » بقوله : « الغراف نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة كانه يغترف كثيراً ولذلك سمي هكذا وعليه كورة فيها قرى كثيرة وهي بطائح وقد نسب اليه قوم من أهل العلم » . ونظير هذا ما قاله ابن عبد الحق في المراصد .

(٢) ذكره ياقوت باسم « دقلة » أيضاً (راجع مادة نهر جعفر ومادة نهر ابي الاسد) الا انه ورد ذكره باسم « دقلاء » في كتاب « قلائد الجواهر » للحنبلي (الصفحة ٨٣) فقد ورد فيه ان الشيخ الكبير منصور البطائحي كان من اجلاء المشايخ بالبطائح واعيانهم وقيل انه «سكن نهر دقلاء من أرض البطائح واستوطنها الى ان مات وقبره ظاهر يزار » .

(٣) ذكره ياقوت بقوله : « نهر جعفر نهر بين واسط ونهر دقلة عليه قرى وهو أحد ذنابيب دجلة » . وقد ذكر قرية باسم « الهرث » كانت عليه فوصفها بقوله انها «قرية على نهر جعفر من اعمال واسط » ، وأضاف ابن عبد الحق الى ذلك قوله انها «قرية كبيرة مشهورة » . وقد أشار ابن الفوطي الى قرية اخرى باسم « المأمن » كانت على نهر جعفر ، اذ قال في حوادث سنة ٦٧٠ هـ . ما يلي : « في سنة ٦٧٠ هـ أمر صاحب الديوان علاء الدين بعمارة موضع في نهر جعفر من اعمال واسط سماه المأمن وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً وانتقل اليه خلق كثير وكان التجار المنحدرون الى البصرة والصاعدون منها يصعدون متاعهم اليه فانتفعوا به وامنوا على أموالهم وبنى فيه ناصر الدين قبلغ شاه الصاحبي مدرسة » (كتاب « الحوادث الجامعة » الصفحة ٣٧٢) .

وكان في ناحية نهر جعفر قرية تعرف باسم « شاهيا » وصفها ياقوت =

ونهر ميسان[١] ونهر هوفري ونهر الهمامة[٢] ثم تجتمع هذه الانهر وما ينضاف اليها من الفرات كلها قرب مطارة[٣] وهي قرية بينها وبين البصرة يوم واحد وهناك يعظم جداً » . ووصف ابن سرابيون الانهر التي تحمل من نهر دجلة جنوب واسط ايضاً بقوله : « وتحمل من دجلة انهار كثيرة في أسفل مدينة واسط تصب كلها في البطيحة وبعضها في بعض اكبرها واجلها ماقد ذكرناه . منها نهر يقال له نهر بان أوله أسفل واسط مع القرية التي تسمى نهر بان (ذكره ابن رسته باسم نهر بين) ثم يمر بقرى وضياع ويقلب فيصب في البطيحة . ويحمل منها أيضاً نهر يقال له نهر قريش أوله من القرية التي تسمى نهر قريش يمر بقرى وضياع ويصب في البطيحة غربي (واسط) . ويحمل منها أيضاً نهر يقال له السيب وهو سيب العقر ومدينةالعقر[٤]راكبته أوله أسفل نهر بان بفرسخين يمر

= بقوله انها « من قرى واسط من ناحية نهر جعفر بين واسط والبصرة ... ويقال لهذه القرية شيفيا ذكرها ابو طاهر بن سلفه أيضاً بقوله انها قرية على سبعة فراسخ من واسط» .

والارجح ان النهر القديم المعروف اليوم باسم « خيط الشميزي » وهو النهر المتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة اي جنوب خرائب « واسط » على زهاء خمسة كيلومترات منها هو من بقايا « نهر جعفر » الذي كان يتفرع من اسفل « واسط » بينها وبين « نهر دقلة » كما جاء في وصف ياقوت . ونهر الشميزي » هذا يسير شرقاً فيبدأ من شمال « هور حويش » ثم يتجه نحو التل الأثري المسمى « ايشان شميزي وينتهي بعد ذلك الى الاراضي المنخفضة الواقعة في « هوركوبطم» بالقرب من « كميت » .

(١) ذكره ياقوت وأشار الى قرية باسم « البزاز » تقع على ضفافه بقوله « البزاز بليدة بين المذار والبصرة على شاطىء نهر ميسان رأيتها غير مرة » .

(٢) ذكره ياقوت وابن عبد الحق باسم « نهر الهمامية » فوصفا الهمامية بقولهما انها بلدة من نواحي واسط بينها وبين خوزستان لها نهر يأخذ من دجلة منسوبة الى همام الدولة منصور بن دبيس بن عفيف الاسدي » .

(٣) ذكرها ياقوت وابن عبد الحق فقالا انها « من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة .

(٤) ذكرها ياقوت باسم « عقر السدن » وقال انها « من قرى الشرطة بين واسط والبصرة » .

في قرى وضياع ويمر بالجوامد[١] ويتفرع منه أيضاً أنهار كثيرة ويقلب فيصب في البطيحة[٢] . ويحمل منها أيضاً نهر يقال له بردودي أوله مع القرية التي تسمى الشديدية وهو نهر جليل ويصب في البطيحة » .

ومن جملة الانهر الاخرى التي لم يذكرها ابن سرابيون ولا القزويني انهر « الصلة » و « الفضل » و « الصين » و « الجنب » . وقد وصف ياقوت « نهر الصلة » بقوله انه من أعمال « واسط » وان المهدي أمر بحفره « فحفر وأحيي عليه من الارضين وجعلت غلته لصلات أهل الحرمين » ، كما انه ذكر « نهر الصين » و « نهر الفضل » أيضاً ، فقال حول « نهر الصين » ان الحجاج « قبل اتخاذه واسط أراد نزول الصين من كسكر وحفر بها نهر الصين وجمع له الفعلة » ، واكتفى بوصف « نهر الفضل » بقوله انه من نواحي « واسط » . وقد جاء ذكر « نهر الصلة » و « نهر الفضل » في كتاب « تجارب الأمم » لابن مسكويه (٦ : ٢٦٨ و ٣٤٧) فوصفا انهما في اسافل واسط . والارجح ان آثار النهر

---

(١) ذكر ياقوت قرية باسم « الجامدة » فقال انها « قرية كبيرة جامعة من اعمال واسط بينها وبين البصرة وأيتها غير مرة » . الا انه يلوح لنا ان هذه القرية غير «الجوامد» التي يشير اليها ابن سرابيون ، ولعل التل الأثري المسمى « تل جدة » وهو التل الواقع في ناحية البو صالح (لواء المنتفك) في ذنائب « شط الاخضر » على حوالي ٤٠ كيلومتراً من جنوب شرقي « الدواية » هو من بقايا « الجامدة » التي ذكرها ياقوت . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان « الجوامد » كلة كانت تطلق على الاراضي المستخلصة من المستنقعات بعد تجفيفها وكان زرعها يعطي صاحبها حق الملكية العامة (راجع الماوردي « الاحكام السلطانية » القاهرة ص ١٧٢—١٧٣) .

(٢) من المرجح ان « هور العقرة » الحالي الواقع في شرق قلعة سكر بين شط الغراف وشط الاخضر سمي بهذه التسمية نسبة الى « نهر سيب العقر » ومدينة « العقر » اللذين كانا يقعان في ذلك الموضع أو في جواره ، كما انه يحتمل ان « امام العقر » الواقع على بعد ٢٢ كيلومتراً الى الشمال من هور عقرة سمي بهذه التسمية نسبة الى مدينة « العقر » القديمة أيضاً .

القديم المعروف اليوم باسم « خيط الفضلي » ، وهو النهر الذي يبدأ من « شط الدجيلة » على زهاء خمسة كيلومترات الى الجنوب من « واسط » ويسير نحو « تل الحسينية » هو من بقايا « نهر الفضل » . أما « نهر الجنب » فقد ذكره البلاذري وروى عنه ما يلي : « قالوا كان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب وكان طريق البريد الى ميسان ودست ميسان[1] والى الاهواز في شقه القبلي » . والارجح ان اثار النهر القديم المعروف اليوم باسم « خيط الشيمي »، وهو النهر الذي يتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة في شمال خرائب « واسط » مباشرة ، هو من بقايا « نهر الصين » المتقدم ذكره أو « نهر الجنب » الذي يتفرع من دجلة في شرقي واسط أيضاً . و « نهر الشيمي » هذا يسير الى الشرق بانحراف قليل نحو الجنوب وينتهي الى الأراضي المنخفضة الواقعة في

---

(١) الظاهر ان « ميسان » كانت تسمية لمنطقة واسعة تقع غربي نهر الكارون ، فتمتد بينه وبين نهر دجلة ، منها أراضي « دست ميسان » التي لا تزال تحتفظ باسمها القديم بتحريف بسيط فتسمى اليوم « دشت ميشان » ، « ودشت ميشان » هذه تقع في منطقة الأهوار الواسعة الواقعة على الجانب الشرقي من نهر دجلة في شرقي « هور الحويزة » الخالي داخل حدود الأراضي الايرانية . ويخترق شط الكرخة « دشت ميشان » ولا يزال احد فروعه يسمى «شط ميسان» ، ولا شك ان هذه التسمية تحريف لكلمة « ميسان » الاصلية . وقد جاء ذكر منطقة « دست ميسان » في كتاب « الخراج » لأبي يوسف (طبعة مصر ص ١٥٤) بمناسبة ايعاز عمر بن الخطاب الى بجالة بن عبدة العنبري الذي كان والياً عليها بوجوب أخذ الجزية من المجوس هناك . ويلاحظ ان أرض « المذار » المتقدم ذكرها كانت من ضمن منطقة « ميسان » المذكورة (راجع ما تقدم في ص ٤٢٤). وقد اعتبر ابن رسته مدينة « جبل » التي تقع على الجانب الشرقي من دجلة شمالا من مدائن « ميسان » ايضاً (راجع البحث التالي الخاص بمدينة جبل في هذا الفصل) . وقد وصف ياقوت منطقة « ميسان » بقوله انها « اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان ... وفي هذه الكورة أيضا قرية فيها قبر عزير النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور وأنا رأيته ... » ، ولعل القبر المذكور هو نفس « قبر العزير » الخالي الذي لا يزال يقوم بخدمته اليهود ويزار حتى يومنا هذا .

شرق « هور جرباسي » وايشان « ام بطه » بالقرب من « علي الشرقي » .

وكان نهر دجلة يتشعب في الذنائب عند القطر[١] الى ثلاث شعب تنصب كلها في البطائح ، ومن نهاية البطائح هذه تبدأ ثلاثة أنهر أيضاً تمتد جنوباً حتى تنتهي الى « دجلة العوراء » . ويعطينا ابن رسته وصفاً لهذه المنطقة بقوله : « وبالقطر تتشعب دجلة ثلاث شعب احدى هـذه الشعب الى مدينة يقال لها طهيثا وهي مدينة كبيرة بها مسجد جامع وكان أبو زكريا البحراني تحصن فيها حتى أخرج منها . وينصب هذا الماء اذا جاوز هذه المدينة في البطائح والآجام والشعبتان الاخريان تنصبان الى البطيحة ومنها تجنح السفن ويحمل بعض ما فيها في الزواريق في هاتين الشعبتين فتجري الى موضع كثير الماء في البطيحة فتمر بهـا الزواريق الى الهول وهناك موضع يقال له الهول الـكبير وهو هول عظيم ثم تسير حتى تنتهي الى مدينـة يقال لها باذاورد[٢] وهي مدينـة كبيرة وبها افواه ثلاثة أنهار أحدها يسمى نهر أبي الأسد[٣] والآخر

(١) ذكرها ياقوت بقوله : « القطر موضع في جوانب البطائح بين البصرة وواسط عرف بهذه النسبة محمد بن الحـكم القطري يروى عن آدم بن ابي اياس وابن أبي مريم روى عنه عثمان بن محمد السمرقندي » . ولعل الموضع المعروف اليوم باسم « الاقطارات » الواقع جنوب شرقي « ايشان قاروت » هو الموضع الذي كانت « مدينة القطر » تقع في جواره ، ومن المحتمل جداً ان « الاقطارات » تحريف للقطر القديمة .

(٢) ذكرها ياقوت في معجمه قال : « باذورد اسم مدينة قرب واسط بينها وبين البصرة وقد خربت والى هذه الغاية يسمون دجلة البصرة العظمى باذورد تسمية بهذا الموضع والله أعلم » .

(٣) وصفه ياقوت بقوله : « نهر ابي الأسد أحـد شعوب دجلة بين المذار ومطارة في طريق البصرة يصب هناك في دجلة العظمى ومأخذه أيضاً من دجلة قرب نهر دقلة » . ويرجح ان « نهر ابي الأسد » كان يسير في اتجاه المجرى الذي يمتد بين سوق الشيوخ والقرنة الحاليتين . وقـد وصف ابن سرابيون مصبه بدجلة العوراء بقوله : « واذا الخارج من نهر ابي الأسد فان دجلة العوراء تستقبله معترضة له فالطريق الى البصرة على يمين الخارج ويسرته الى عبدسي والمذار وليس لها هناك مصب ولا مخرج بل هي نهاية يلحقها المد والجزر » .

نهر مرة[١] والثالث نهر ابن عمر[٢] فمن اراد البصرة فانه ينحدر من نهر أبي الأسد الى دجلة العوراء يمضي فيها منحدراً حتى تصير الى فوهة نهر معقل ثم يمضي منه الى البصرة »[٣]. وقد وصف ابن سرابيون « الهول الكبير » الذي اشار اليه ابن رسته بشيء من التفصيل بقوله : « ان أول البطيحة القطر وهو زقاق قصب ثابت وبعده هور والهور هو ماء كثير ليس فيه قصب واسم هذا الهور بحصى وبعده زقاق قصب ثم الهور الثاني واسمه بكصي وبعده زقاق قصب ثم الهور الثالث اسمه بصرياثا وبعده زقاق قصب ثم الهور الرابع واسمه المحمدية وفيه منارة حسان وهو اعظم الاهوار وبعده زقاق قصب وهو ماد الى نهر أبي الأسد ويمر النهر بالحالة وقرية الكوانين ويصب الى دجلة العوراء » (راجع المرتسم الذي يبين الجزء الاخير من مجرى دجلة كما كان في العهد العباسي).

ويقول المقدسي ان مجرى دجلة بعد واسط كان ضحلاً ولذلك كانت تستعمل فيه قوارب صغيرة ومسطحة تدفع بالمرادي ، ويحتمل ان هذه القوارب كانت من نوع المشاحيف الخفيفة التي لا تزال تستعمل الآن في الاهوار . اما في منطقة البطيحة[٤] ، فقد كان الماء ضحلاً أيضاً فكانت تبنى سداد من الطين والقصب لاستصلاح بعض الأراضي المستنقعة واستغلالها في زراعة الرز[٥].

---

(١) ذكر ابن رسته في موطن آخر ان « نهر مرة » قريب من « نهر ابي الأسد » ويصب في دجلة العوراء « ويمتزج هذا الماء بماء البحر الذي يدخل في دجلة العوراء من ماء المد » .

(٢) ذكر ابن رسته في موطن آخر ان طول « نهر ابن عمر » يبلغ اربعة فراسخ من أسفل البطائح مما يلي قصر انس بن مالك الى « فيض البصرة » وقد حفره عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في ولاية بني امية ليعذب ماء أهل البصرة ، اما « فيض البصرة » فهو يعرف اليوم باسم « شط العرب » .

(٣) كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ١٨٤ ـ ١٨٥

(٤) يجد القارىء تفاصيل مفيدة عن تاريخ منطقة البطائح والتطورات التي اعتورتها في مقال ستريك في دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، الجزء الثالث ص ٦٨١

(٥) راجع المقدسي ص ١١٩ و ١٢٤ ، الاصطخري ص ٨١ — ٨٢ ، ابن حوقل ص ٢٣٨ ، ابن مسكويه ج ٢ ص ٢٩٧

ولا يزال القسم الغربي من أراضي البطائح ، وهو القسم الذي كان يلتقي عنده النهران (دجلة والفرات) يعرف الى الآن باسم « هور البطيحة » ، وهذا يقع على حوالي خمسة عشر كيلومتراً من شمال الناصرية ، فيبلغ عرضه حوالي اربعة كيلومترات وطوله حوالي خمسة كيلومترات . وتحيط به من الغرب سداد اصطناعية تعرف اليوم باسم « ايشان الحور » كما تحيط به من الشرق أطلال تسمى « التناهي » ، ولعل هذه الاعمال انشئت هناك لاستصلاح بعض أراضي البطائح وتهيئتها لزراعة الرز ، ويحتمل ان يكون هذا الهور من جملة الأراضي التي استصلحت على عهد الحجاج وان السداد التي لا تزال بقاياها ماثلة للعيان هي من جملة المنشئات التي اقيمت في هذه المنطقة لتحقيق ذلك .

٦ ـ آثار مجرى دجلة ومرتفعاته وقراه في طوره الثالث ـ شط الرحيلة

ترك مجرى دجلة القديم في طوره الثالث ، أي مجراه في العهد الاسلامي ، معالم واضحة يمكن اقتفاؤها ، فألى الشرق من مدينة الكوت الحالية على مسافة حوالي خمسة عشر كيلومتراً الى الجنوب منها بطريق النهر يبدأ من الضفة اليمنى لمجرى دجلة الحالي عند قرية ابراهيم العزيز الحالية نهر دارس يعرف اليوم بـ « شط الدجيلة » ، ويتجه الشط المذكور الى الجنوب الشرقي ماراً بتل « سابس » ، وهو من بقا مدينة « نهر سابس » القديمة[1] ، وبعد ان يتركه على يمينه يستمر في امتداده حتى يصل الى التلول الأثرية المعروفة اليوم باسم « المناره » ، فيشطر خرائبها الى شطرين ، وهذه الخرائب هي موقع مدينة واسط التي نقبت فيها مديرية الآثار القديمة العامة تنقيباً واسعاً فوجدت فيها من منشئات الحجاج جامعه وقصره[2] ، وتقع هذه الخرائب اليوم على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « نهر سابس » في هذا الفصل .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بمدينة واسط في ص ٤٣١

مدينة الحي الحالية في شرقها ، فهي الآن بين النهرين الحاليين ، الغراف ودجلة ، بعيدة عن كل منهما ثم يستمر المجرى الى الجنوب وبعد ان يقطع مسافة قليلة في هذا الاتجاه يتشعب الى فرعين يتجه أحدهما شرقاً حتى يتصل بدجلة الحالية في جوار « كميت » الحديثة ، ويستمر الفرع الآخر في الاتجاه الجنوبي ويعرف بـ « شط الاخضر » (بفتح الخاء ـ الضاد) ويمر بالاطلال المعروفه اليوم بـ « تل الرصافة » الواقعة على بعد نحو سبعة كيلومترات منه غرباً ، ومن بعدها يتجزأ « شط الاخضر » الى عدة فروع تضيع معالمها في منخفض من الارض ، هي البطائح التي تقدم ذكرها . ويبلغ عرض شط الدجيلة في بعض الاماكن ما يزيد على مائتي متر مما يؤيد انه عتيق نهر واسع كان يستوعب جميع تصرف مياه دجلة قبل ان ينتهي الى البطائح .

ونرجح ان « شط الاخضر » كان المجرى الرئيسي لنهر دجلة الذي ينتهي الى البطائح ، أما الفرع الشرقي الذي يسير نحو « كميت » فهو أحد الفروع الكبيرة التي كانت تتفرع من الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم في جنوب واسط ، ولعله النهر الذي كان يعرف باسم « نهر ميسان »[1] . واننا نميل الى الاعتقاد بان نهر دجلة قبل ان يتحول نهائياً من مجرى واسط الغربي الى مجرى العمارة نحو « المذار » و « العبدسي » في تطوره الاخير (الطور الرابع) أخذ في أول الأمر يجري في الفرع الذي يتجه نحو كميت (نهر ميسان) تاركاً البطائح الجنوبية التي في ذنائب « شط الاخضر » ، ثم تحول المجرى كله الى جهة العمارة من جوار « الخيزرانية » (تل الخيزرانة)[2] . وهو الموضع الذي كان يفترق منه الفرعان ، الغربي والشرقي ، في مختلف الادوار .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بنهر المذكور في ص ٤٣٩

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالخيزرانية في ص ٤٢٨ و ٤٣٠ والبحث التالي الخاص بتلول الخيزرانة في ص ٤٥٢

واذا تتبعنا آثار العمران القديم على جانبي عقيق دجلة في جزئه الأخير الذي كان يمتد مابين قرية « هانية » والمصب في البطائح في جنوب واسط نجد ان هناك عدداً غير قليل من القرى والمدن التي ذكرها المؤرخون من العرب لا تزال تعرف بأسمائها القديمة التي كانت تعرف بها في العهد العباسي ، منها « النعمانية » و « جبّل » و « نهر سابس » و « قنطرة الخيزران » و « العقر » و « الصينية » و « الرصافة » و « فاروث » و « الهنائس » و « الحويش » وغيرها .

اما « النعمانية » فكانت تقع بين « هانية » و « نهر سابس » على الضفة الغربية من النهر ، فقد ذكر ابن عبد الحق انها منسوبة الى رجل اسمه النعمان وانها تقع على ضفة دجلة في منتصف الطريق بين واسط وبغداد ، وقد وصفها القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ بقوله انها « بليدة بين بغداد وواسط كثيرة الخيرات وافرة الغلات ولها قرى ورساتيق بناها النعمان بن المنذر بن قيس بن ماء السماء سكنها زماناً رافيء الحال فارغ البال في أيام الاكاسرة الى ان قضى الله عليه تعالى ما شاء »[1] . وقد ذكر ابن رسته ان النعمانية « مما يلي غربي دجلة وهي مدينة بها مسجد جامع وأسواق وبها تتخذ الطنافس الحيرية وهي مدينة من مدائن الحيرة[2] . واشار بن عبد الحق في معجمه الى قرية باسم « الجديدة » قال انها « قرية فوق النعمانية على شاطيء دجلة » .

والارجح ان الاطلال المعروفة اليوم بأسم « تل النعمان » ، وهو التل الواقع على الضفة الغربية من مجرى دجلة الحالي على بعد خمسين كيلومتراً من جنوب شرقي « هانية » هي من بقايا قرية النعمانية القديمة . اما مدينة النعمانية الحديثة الواقعة على الضفة اليمنى من النهر أيضاً على مسافة خمسة كيلومترات من جنوب

---

(١) كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » الصفحة ٣١٤

(٢) راجع كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ١٨٦ — ١٨٧

« تل النعمان » فنميل الى الاعتقاد انها موضع قرية « نعماذ » التي ذكرها اليعقوبي ووصفها بقوله انها « فرضة ينتقل منها مير دجلة الى النيل » . وكانت النعمانية الحديثة تعرف بالبغيلة ثم سميت النعمانيه أخيراً احياء للاسم القديم لوجود « تل النعمان » في جوارها ، وهو التل الذي يعتقده الناس موضع النعمانية التاريخية[1] .

وكانت في شمال « النعمانية » على مسافة اربعة فراسخ منها في الجهة الشرقية من النهر مدينة مهمة يقال لها « جرجرايا » وهي المدينة الرئيسية في « طسوج النهروان الاسفل »[2] ، فقد ذكر ابن عبد الحق انها « بلد من اعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي كانت مدينة خربت مع ما خرب من النهروانات » . اما ياقوت فقد أيد ذلك وأضاف قوله انه قد خرج من « جرجرايا » جماعة من العلماء والشعراء والكتّاب والوزراء ولها ذكر في الشعر كثير قال ابزوز العمّاني :

ألا يا حبـــذا يوماً جررنا ذيول اللهو فيـــه بجرجرايا

---

(١) أشار ياقوت الى قرية قرب النعمانية باسم « بنورا » فذكر انها تقع « قرب النعمانية بين بغداد وواسط وبها كان مقتل المتنبي في بعض الروايات » . وفي مقتل المتنبي عدة روايات ، الاولى انه كان في الجانب الغربي بالقرب من النعمانية (كتاب « الانساب » للسمعاني الورقة ٥٠٦) ، والثاني في الجانب الشرقي من دجلة بالقرب من « دير العاقول » و « الصافية » ، وهما في هذا الجانب . والارجح ان مقتله كان في الجانب الشرقي لأن الطريق العام بين بغداد وواسط كان يسلك هذا الجانب . وفي احدى الروايات انه قتل عند قرية « بيزغ » ، وهي القرية التي وصفها ياقوت بقوله انها « قرية بين دير العاقول وجبل بها قتل ابو الطيب المتنبي فقتله من خط ابي بكر محمد بن هاشم الخالدي الشاعر » . وقد جاء في كتاب ابن خلكان (الصفحة ٣٧) ان مقتله كان عند قرية « الصافية » (حول مقتل المتنبي راجع مقال الاستاذ الحقق يعقوب سركيس في مجلة الاعتدال في عـــددها الصادر في شهر آب ١٩٣٧ ص ١٨٥—١٩٧) .

(٢) راجع وصف اليعقوبي المتقدم الخاص بمدينة « جرجرايا » في ص ٤٣٠

ويرى فيليكس جونس ان الاطلال الواقعة في جوار « صدر الشاعورة » الحديث هي من بقايا مدينة « جرجرايا » .

وكانت على الضفة الشرقية من دجلة أيضاً على خمسة فراسخ من النعمانية جنوباً مدينة أخرى تعرف بـ « جبّل » (بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها) ، وهي المدينة التي ذكر ياقوت انها « بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي كانت مدينة وأما الآن فاني رأيتها مراراً وهي قرية كبيرة ... وأياها عنى البحتري بقوله : ـ

حنانيك عن هول البطائح سائرا ... على خطر والريح هول دبورها
لئن اوحشتني جبّل وخصاصها ... لما آنستني واسط وقصورها

ويصف ابن رسته مدينة جبّل بقوله : «مدينة جبّل على شرقي دجلة وهي مدينة كبيرة وبها مسجد جامع ودار طبيخ للسلطان وتسقى زروعها بالزواريق وهي مدينة من مدائن ميسان[1] وبها تتخذ الثياب الميسانية ويخترقها نهران عظيمان يستقان من سورا »[2] .

أما موضع « جبّل » فقد ثبت ان انقاض هذه المدينة أصبحت في وسط نهر دجلة مقابل « أم البنّي » الحالية نتيجة التأكل الحاصل في ضفة النهر التي كانت المدينة منشأة عليه ، ويعرف هذا الموضع اليوم باسم « جنبل » (بادخال النون بين الجيم والباء) . وقد توهم اكثر السياح من الافرنج ان الانقاض التي اعترضتهم في وسط نهر دجلة في هذا الموضع من بقايا جسر قديم كان على نهر دجلة هناك . وقد عادى بعضهم في هذا الوهم فصوّر لنا عقادات الجسر وذكر عددها ونوع بنائها الى ما هنالك من الاوصاف التي تدل على ان هؤلاء

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بميسان في ص ٤٤١ (حاشية ١)
(٢) لعل نهر سورا هذا احد الانهر المتفرعة من ذنائب النهروان .

السياح كانت لديهم القناعة التامة في ان الانقاض المذكورة هي من بقايا الجسر الذي تصوروه في مخيلتهم[١] .

وتشاهد اطلال « قرية نهر سابس » على الضفة الغربية من مجرى دجلة القديم (شط الدجيلة) حسب وصف اليعقوبي المتقدم وان موضعها لا يزال يعرف باسم « تل سابس » ، وهو يقع على حوالي ١٥ كيلومتراً من شرق الكوت الحالية و ١٥ كيلومتراً من صدر « شط الدجيلة » . ويخترق اليوم جدول الدجيلة الحديث الذي شق مؤخراً من أمام قناطر الكوت عقيق دجلة القديم في هـذا الموضع ، وقد أصبح موضع « تل سابس » بالنسبة الى هذا الجدول على ١٧ كيلومتراً من صدره على الضفة الغربية منه أمام مركز دائرة الري الواقع عند الناظم القاطعي الرئيسي الذي تتفرع من امامه الشاخات ١ و ٢ و ٣ و ٤ . ويمتاز « تل سابس » بارتفاعه إذ يعلو الارض المحاذية ٢٠ الى ٣٠ متراً فيشرف المرء من قمته التي نصبت دائرة المساحة نقطة تثليث رئيسية فيها على كل المنطقة المجاورة . أما مساحة الاطلال فتبلغ زهاء ٧٠٠٠٠ م٢ (٣٠ مشارة) . وقد لعب هـذا التل دوراً مهماً في حصار الكوت المشهور خلال الحرب العالمية الاولى .

وقد ايد ياقوت وابن عبد الحق وقوع « قرية نهر سابس » على الضفة الغربية من نهر دجلة ، اذ ذكر ياقوت ان « نهر سابس قرية مشهورة قرب واسط على طريق القاصد لبغداد منها على الجانب الغربي » وقال ابن عبد الحق انها « قرية مشهورة فوق واسط على الجانب الغربي » . اما موقع قرية نهر سابس بالنسبة الى « جبّل » و « النعمانية » و « جرجرايا » ، فقد عين المؤرخون موضعها على بعد سبعة فراسخ من « جبل » واثني عشر فرسخاً من « النعمانية » وستة عشر فرسخاً من « جرجرايا » جنوباً . وكانت « قرية نهر سابس » تقع

(١) راجع كتابنا « المصادر عن ري العراق » الصفحة ٩٣

على نهر يسمى « نهر سابس » ، وهو نهر كان يتفرع من ذنائب نهر النيل[١] وينتهي الى نهر دجلة عند « قرية نهر سابس » . وقد أشار ياقوت الى « نهر سابس » بقوله انه يقع « فوق واسط بيوم واحد عليه قرى » .

وكانت بين « النعمانية » و « نهر سابس » أنهر مأخذها من ذنائب نهر النيل (نيل الفرات) وتنتهي الى دجلة هناك ، ومن أهم هذه الفروع نهران رئيسيان، اعلاهما كان ينتهي الى دجلة في جوار « النعمانية » ، والثاني ينتهي الى دجلة في جوار « قرية نهر سابس » . وكان الاول يعرف باسم « الزاب الاعلى »، اما الثاني فكان يسمى « الزاب الاسفل » ، وكان على هذين النهرين قرى كثيرة ومزارع واسعة تتصل بالضفة الغربية لنهر دجلة في منطقة « النعمانية و « نهر سابس » . وقد وصف ياقوت هذين الزابين قائلاً : « زبين بغداد وواسط زابان يسميان

---

(١) « النيل » هو النهر الذي كان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفرات في جنوب « بابل » فيمتد في الجزيرة الواسعة الواقعة بين الفرات ودجلة وينتهي الى الضفة اليمنى لنهر دجلة في جوار « النعمانية » و « قرية نهر سابس » . وكان هـذا النهر يعرف في زمن الفرس باسم « نهر جاسب » ، ثم قام الحجاج بتطهيره فسماه « النيل » على اسم « نيل مصر » ، كما انه أنشأ مدينة عليه سماها « النيل ايضاً » . ومما ذكره ياقوت في هذا الصدد قال : « النيل بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتفرع من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر وقيل ان النيل هذا يستمد من صراة جاسب » . وكان يصب نهر النيل في « هور الحول » الكائن في جوار قصبة « النعمانية » ، ومن ثم ينشطر النهر الى فرعين، الفرع الشمالي المسمى « الزاب الاعلى » وهو ينتهي الى نهر دجلة جنوب « النعمانية » ، والفرع الجنوبي المعروف باسم « نهر سابس » يسير جنوباً الى محاذاة نهر دجلة حتى ينتهي الى نهر دجلة (شط الدجيلة) في نقطة تقع على بعد فرسخ واحد جنوب قصبة « نهر سابس » ، وقد اطلق ايضاً بعض مؤرخي ذلك العصر على « نهر سابس » اسم « الزاب الاسفل » لتمييزه عن نهر « الزاب الاعلى » الذي يصب في دجلة في جوار « النعمانية » . ولعل الاهوار الحالية المعروفة اليوم بـ « الجاموس » و « دلج » و « الزهرة » تقع في موضع « هور الحول » المتقدم ذكره .

الزاب الاعلى ، الزاب الاسفل أما الاعلى فهو عند قوسين[١] وأظن مأخذه من الفرات ويصب عند زرقامية[٢] وقصبة كورته النعمانية على دجلة واما الزاب الاسفل من هذين فقصبته نهر سابس قرب مدينة واسط وزاب النعمانية أراد الخبص بيض أبو الفوارس الشاعر بقوله :

أجاء وسلمى أم بلاد الزاب وأبو المظفر أم غضنفر غاب

واضاف ياقوت الى ذلك قوله انه كان على كل واحد من هذه الزوابي عدة قرى وبلاد، وقريب من هذا قول ابن عبد الحق في وصف الزابين المذكورين. وجاء في معجم ياقوت أيضاً ذكر نهر باسم « زابيا » وصف انه « نهر احتفره الحجاج فوق واسط وسماه بذلك لأخذه من الزابين تثنية الزابي » . ولعل تسمية « نهر الزاك » الحالي الذي يتفرع من نهر دجلة في أراضي أم البنّي والواقع في منطقة الزابين القديمة نفسها هي تحريف لتسمية الزاب الاصلية .

وكانت مقابل اطلال « قرية نهر سابس » على الضفة الشرقية من دجلة قرية يقال لها « المبارك ». فذكرها اليعقوبي بقوله انها تقع بأزاء « قرية نهر سابس » في الجانب الشرقي من نهر دجلة منها يسلك الى طسوجي «بادرايا» و«باكسايا»[٣]. وجاء في كتاب « الطبقات الكبير » تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي

---

(١) لعل الصواب « قوسان » وهي التي ذكرها ياقوت بقوله : « قوسان كورة كبيرة وانهر عليها مدن وقرى بين النعمانية وواسط ونهره الذي يسقى زرعه يقال له الزاب الاعلى » .

(٢) ذكرها ابن عبد الحق بقوله : « زرقامية ويقال زرقانية قرية كبيرة من نواحي قوسان وهي من نواحي الزاب الاعلى الذي بين واسط وبغداد وهي الآن خراب بها آبار عند مصب الزاب الاعلى » . وذكرها ياقوت باسم زرقامية أيضاً فقال في مادة « واسط » انها من اعمال واسط من الجانب الغربي من دجلة وفيها يقول علي بن نصر بن بسام :

ودهقان طي تولى العراق وسقى الفرات وزرقامية

(٣) راجع كتاب « البلدان » (طبعة النجف) ص ٨٣

(ج ٧ ص ٦٠) ان « المبارك على أسم فراسخ من « واسط » . ولم نعثر على أثر لهذه القرية ولعلها اختفت بين الحفريات التي اجريت هناك أثناء شق مجرى الدجيلة الحديث ، اذ تقع في هذا الموضع مركز تقسيمات المياه وفيه ناظم قاطمي يعرف بـ « ناظم كيلو ١٧ » تتفرع من أمامه الاربع شاخات المرقمة من ١ الى ٤ .

ولا تزال قرية « قناطر الخيزران » التي عين اليعقوبي موضعها على الضفة الشرقية من نهر دجلة في جوار « قرية المبارك »[1] تعرف باسمها القديم الذي كانت تعرف به في العصر العباسي ، فهي تسمى اليوم « تلول الخيزرانة » ، وتقع على الضفة الشرقية من « شط الدجيلة » القديم في شمال غربي « قرية تل سابس » على نحو أربعة كيلومترات منها وهي تبعد حوالي كيلومتر ونصف عن « عرب علي القمر » التي ترجع الى عشائر « القاصيص » ، وتسمى اليوم المنطقة التي تقع فيها هذه التلول باسم « أراضي الخيزرانة » . وتمتاز بقايا قرية « قناطر الخيزران » بسعة مساحتها التي تبلغ أكثر من مائة مشارة ، إلا ان اطلالها لا ترتفع كثيراً عن سطح الارض المجاورة ، ولعل سبب ذلك يرجع الى انغمار هذه المنطقة برمتها بمياه فيضان دجلة لانخفاضها فكانت الى وقت غير بعيد تشكل أهواراً واسعة تمتد الى مسافة بعيدة في الداخل .

ولموضع « قناطر الخيزران » أهمية تاريخية ، فهو الموضع الذي سكرت فيه دجلة بعد ان أخذت تتحول نحو المجرى الغربي الذي يسير نحو « واسط » بغية اعادة المياه الى المجرى الشرقي الذي يسير نحو العمارة . وكان هذا السكر قد الشيء لأول مرة في عهد كسرى ابرويز وانفق عليه مالا عظيماً إلا أن تيار المياه خرقه وجرت المياه في المجرى الذي انشئت « واسط » على ضفافه . ورام بعد ذلك خالد بن عبد الله ان يسكر دجلة في هذا الموضع نفسه وأنفق الاموال لهذا الغرض إلا أن السد لم يلبث ان انهار أمام التيار الشديد والمجرى السريع .

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٤٢٨ و ٤٣٠ و ٤٤٥

وقد سمي ابن رسته هذا الموضع « الخيزرانة »وذكر ان آثار السد كانت تشاهد في زمنه اذا قل الماء في دجلة وهو من بناء الآجر والصاروج[١] . اما الآن فلم يبق من هذه الآثار أية علائم تعيننا على تعيين موقع السد بالضبط عدا تعيين موقع القرية المسماة باسم « قناطر الخيزران » نسبة للقناطر التي كانت في جوارها، وهي القرية التي احتفظت الى الآن باسمها القديم ، وذلك نظراً للتطورات المتعددة التي اعتورت هذه المنطقة خلال مدة الالف والخمسمائة عام المنصرمة .

وكانت في جنوب « قرية سابس » ، على خمسة فراسخ منها ، قرية مهمة على الضفة الشرقية من النهر تعرف باسم « فم الصلح » ، وكانت هذه القرية تتغذى بالمياه من نهر يعرف بـ « فم الصلح » أيضاً . وقد وصف ياقوت « نهر فم الصلح » بقوله : « فم الصلح نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون وفيه بنى المأمون ببوران وقد نسب اليه جماعة من الرواة و المحدثين وغيرهم وهو الآن خراب إلا قليلاً »[٢] . وجاء في المراصد : «الصلح كورة فوق واسط لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي يسمى فم الصلح » . وقد وصف ابن رسته « فم الصلح » بقوله انها مدينة على شرقي دجلة وبها مسجد جامع وأسواق . اما موضع « فم الصلح » بالنسبة الى «واسط» فقد عينه قدامة في نقطة تقع على سبعة فراسخ من واسط شمالاً[٣].

نستخلص مما تقدم ان « قرية فم الصلح » ونهرها كانا يقعان على الضفة الشرقية من نهر دجلة على خمسة فراسخ (زهاء ٢٤ كيلومتراً) من « قرية نهر

---

(١) راجع كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ٩٤—٩٦

(٢) راجع « النجوم الزاهرة » الجزء الثاني ص ١٩٠ والعدد الخامس من « مجلة غرفة تجارة بغداد » لسنة ١٩٤١ ص ٣٧٩ من مقال عنوانه « العملة والمعاملة » للدكتور مصطفى جواد

(٣) كتاب « الخراج » ص ١٩٣—١٩٤

سابس » جنوباً ، وعلى سبعة فراسخ (زهاء ٣٤ كيلومتراً) من واسط شمالاً ، وان « قرية فم الصلح » كان بها مسجد جامع وأسواق . وقد دلت تحرياتنا الخاصة في هذه المنطقة على أن الموضع الوحيد الذي ينطبق عليه هذا الوصف هو التل المعروف اليوم بـ « تل ابي غريب » ، اما النهر الذي كان يعرف بـ « نهر فم الصلح » فهو النهر القديم المعروف اليوم بـ « الجماليات » ، وهو النهر الواقع في جوار التل المذكور . ويقع « تل أبي غريب » على الضفة الشرقية من شط الدجيلة (مجرى دجلة القديم) في شرق « تل سابس » بميل قليل نحو الجنوب على نحو ٢٤ كيلومتراً منه ، كما انه يقع في شمال مدينة « واسط » بميل قليل نحو الغرب على نحو ٤٠ كيلومتراً منها . و « تل أبي غريب » هو التل الوحيد في هـــذه المنطقة الذي يشتمل على خرائب واسعة تدل على وجود اسواق ومسجد جامع فيها حسب وصف ابن رسته ، إذ تبلغ مساحة هذه الخرائب زهاء ١٢٠٫٠٠٠م٢ (حوالي ٥٠ مشارة) . أما « نهر جماليات » فيتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة (مجرى دجلة القديم) من أمام « تل سابس » وبعد أن يسير نحو خمسة كيلومترات على محاذاة « شط الدجيلة » من جهة الشرق يصل الى تل مرتفع يسمى « تل مدهلز » ومن ثم يمتد تسعة كيلومترات اخرى في نفس الاتجاه فيصل الى تل آخر يسمى « تل جماليات » عليه نقطة تثليث رئيسية . وهنا تتفرع شعبة من ضفته اليمنى تمتد مسافة بضعة كيلومترات حتى تنتهي الى موضع « تل أبي غريب » (قرية فم الصلح) . أما النهر الرئيسي فيمتد من قرب « تل جماليات » متجهاً الى الشرق نحو مجرى دجلة الحالي فينتهي الى الاهوار الواقعة في جنوب « علي الغربي » . وهناك تلول أثرية كثيرة تجاور النهر في امتداده هذا منها « الكباب » و « المجيرش » و « المناخ » و « أبو خافورة[1] » و « السحول »

---

(١) يحتمل ان « تل ابي خافورة » هو موضع قرية « الفاخرانية » التي ذكرها عباس بن محمد بن احمد بن السيد رضوان المدني في كتابه « مختصر فتح رب الارباب » بقوله انها « قرية بالعراق من سواد واسط » .

و « كباب السادة » و« مغيريف » و« مشيحيف » و« أبو الفضل » و« غلية ».
و يمد « نهر الجماليات » اكبر نهر يتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة في المنطقة التي تمتد بين « واسط » و « سابس » ، فيبلغ عرضه ٩٠ الى ١٠٠ متر في الصدر ويقع في وسط الطريق الذي يسير بين الكوت وشيخ سعد . أما الفرع الذي يتجه نحو « تل أبي غريب » (قرية فم الصلح) فيبلغ عرضه حوالي ٥٠ متراً.

وتشاهد على الضفة الشرقية من شط الدجيلة أيضاً آثار انهر قديمة في جنوب « نهر الجماليات » ، بينه وبين « واسط » ، أولها من الشمال يقع على حوالي ١٨ كيلومتراً من « واسط » شمالاً ، ويعرف بأسم « نهر الطرّيمة » (بتشديد الراء)، ويسير هذا النهر الى الشرق بانحراف قليل الى الجنوب وينتهي الى الارض المنخفضة الواقعة غربي مجرى دجلة الحالي في جنوب علي الغربي بقليل . وهناك تلول أثرية كثيرة تجاور النهر في امتداده هذا منها « كبة كباشي » و « أبو المغاريج » و« أبو الجرعان » و« كبة سكران » و« أبو الرصيّص » و« التليل » و « المدج » . وهناك آثار تل على انه كان يتفرع من نهر الطرّيمة فرع يأخذ من الضفة اليسرى للنهر في نقطة تقع على بعد كيلومترين من صدره ، ويسير هذا الفرع نحو الشمال الشرقي متجهاً نحو « ايشان أبي خافورة » . والى الجنوب من صدر « الطرّيمة » على ثلاثة كيلومترات منه تتفرع عدة أنهر من الضفة نفسها ، أولها يقع عند التل المسمى « تل حصان أبي طبرة الكبير »[1] . وتمتد هـــذه الصدور بضعة كيلومترات ثم تنتهي الى نهرين رئيسيين أولهما من الشمال يقع عند صدره تل كبير يقال له « تل حصان أبي طبرة الصغير » ، ويمتد هذا النهر شرقاً

---

(١) أشار ياقوت في «المشترك» الى قرية باسم «قرية طبرية» ووصفها بقوله انها من قرى واسط ، ويحتمل ان تكون تسمية « أبي طبرة » تحريفاً لكلمة « طبرية » ، وعلى هذا قد يجوز لنا ان نعتبر تل « حصان ابي طبرة » الموضع الذي كانت فيه قرية « طبرية » المذكورة .

باتجاه التل المسمى « تل أبي ضباع » ، أما الثاني وهو الفرع الجنوبي فيسمى « نهر حصان أبي طبرة الصغير » ويمتد الى جهة أهوار دجلة منتهياً الى ناحية كميت . وهناك تلول أثرية كثيرة تجاور هذا النهر وهي : « ايشان الاطران » ، «الكوشة» ، « شعيرة » ، «أم دويبة» ، «محكان» ، «السدود» ، «مهناية » ، «الغترات » ، « كريشة » ، « الجمبة » ، « الخربة » ، « تل درثاية » .

ويحتمل ان تكون هذه الانهر من بقايا كورة « المبارك» ، وهي الكورة التي وصفها ياقوت بقوله انها كورة واسعة من دجلة في شمال «واسط» منها «فم الصلح» الواقعة جنوب « قرية نهرسابس » ، واعلى «نهر أبي طبرة» الذي تقدم ذكره هو من بقايا « نهر المبارك » الذي ذكره ياقوت أيضاً بقوله انه نهر يقع « فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ احتفره خالد بن عبد الله القسرى الذي كان والياً على العراق فسماه المبارك» . ويتضح من ذلك ان « نهر المبارك » كان يقع في جنوب « نهر الصلح » بينه وبين « واسط » وهذا ينطبق على موضع « نهر حصان أبي طبرة » أو « نهر الطريمة » المتقدمين .

ويظهر مما ذكره التنوخي ان النهرين « المبارك » و « الصلح » كانا اقطاعاً لأم الرشيد الخيزران وقد انشأت سداً على دجلة في جوارهما لرفع مناسيب المياه وتغذيتهما بالمياه بمستوى عال، وهو السد الذي كان يعرف بـ «اسناية الخيزران»، ثم خرب السد الأمر الذي أدى الى خراب النهرين أيضاً ، وجاء بعد ذلك الناصر لدين الله فأعاد انشاء السد باشراف صاعد بن مخلد وحصل على ايراد كبير من غلات هذه المنطقة[1] .

ولا تزال «رصافة واسط » التي عين المؤرخون موضعها على عشرة فراسخ من جنوب « واسط »[2] تعرف باسمها القديم الذي كانت تعرف به في العصر

(١) راجع كتاب « جامع التواريخ » للتنوخي الجزء الثامن ص ٨٩ — ٩٠

(٢) ذكرها ياقوت بقوله : « رصافة واسط هي قرية بالعراق من اعمال واسط بينهما عشرة فراسخ » ، وقد أيد قدامة ذلك في كتاب « الخراج » بقوله ان المسافة من واسط الى الرصافة عشرة فراسخ .

العباسي ، فهي تعرف اليوم بالرصافة بدون نسبة ، إذ لا رصافة غيرها في انحائها، وموقعها بين شط الغراف وبين دجلة الحاليين فيما يسمى بـ «جزيرة السيد احمد الرفاعي » على نحو ٢٦ كيلومتراً من شمال شرقي مدينة «الرفاعي» . اما موقعها بالنسبة الى اطلال « واسط » فهو الى الجنوب منها تماماً على نحو خمسة واربعين كيلومتراً منها في الجانب الغربي من «شط الاخضر» على نحو سبعة كيلومترات منه . وتشاهد تلول اثرية في شمال اطلال « الرصافة » منها « تل الكرماية » بكاف فارسية (أي القرماية) و « تل الدهيمي » ، ولعل هذه التلول من آثار ضواحي مدينة « الرصافة » .

ويلاحظ ان قرية «الرصافة» هذه كانت تقع على نهر يسمى «نهر ميمون»، وهو النهر الذي وصفه ياقوت بقوله : « ميمون بمعنى المبارك نهر من اعمال واسط قصبته الرصافة وكان أول من حفر الميمون وكيلاً لأم جعفر زبيدة بنت أبي جعفر المنصور يقال له سعيد بن زيد » . وجاء في المراصد : « الميمون نهر من أعمال واسط قصبته الرصافة وكانت فوهته حين حفر في قرية تدعى قرية ميمون وحولت بعد ذلك وسمي الميمون لئلا يسقط عنه اسم اليمن » .

ولا تزال آثار «نهر الميمون» ماثلة للعيان فتعرف اليوم باسم «شط الابيض» وهو نهر قديم يخترق اطلال « الرصافة » من وسطها فيشطرها الى شطرين . وتدل الآثار على جانبي الشط المذكور على ان هناك جسراً من الآجر كان على النهر في مدينة « الرصافة » . ويسير « شط الابيض » هذا الى الجنوب الغربي من «الرصافة» ثم يتصل بجدول قديم ذي ضفاف عالية يقال له «خيط العويه» (بفتح الواو وتشديد الياء)، وبعد ان يسير هذا الخيط بضعة كيلومترات ينتهي إلى تل أثري يسمى « تل توني » . ويبلغ عرض شط الابيض عند الرصافة حوالي ٦٠ متراً .

وتشاهد في الشمال الشرقي للرصافه اطلال قرية « فاروث » القديمة ، وهي

القرية التي ذكرها ياقوت معرّفة وقال انها «قرية كبيرة ذات أسواق على شاطيء دجلة بين واسط والمذار». ولا تزال هذه القرية تعرف باسمها القديم الذي كانت تعرف به في زمن ازدهارها ، وهي تبعد نحو تسعة عشر كيلومتراً من الرصافة على الجانب الشرقي من «نهر الاخضر» على نحو اثنى عشر كيلومتراً منه .

والى الجنوب الشرقي من أطلال « الرصافة » على ١٦ كيلومتراً منها تشاهد بقايا « قرية الهنائس » ، وهي القرية التي نسب اليها سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي قاضي قضاة بغداد[1] . ولا تزال تعرف أطلال هذه القرية باسم « تل الهنائس » ، ويقع هـذا التل على ثلاثة كيلومترات من شرقي شط الاخضر (نهر دجلة القديم) وعلى زهاء ١٨ كيلومتراً من غرب موضع « السيد أحمد الرفاعي » يميل الى الجنوب وعلى أربعة كيلومترات من جنوب ايشان «أبي ركبة». وتتكوّن الاطلال من تلين ، التل الغربي، وهو التل الكبير الذي تقع عليه القرية الرئيسية، والتل الشرقي، وهو تل صغير يقع على نحو مائتي متر من التل الاول. ويستدل من وضع الأراضي ان هنالك نهراً كان يتفرع من الضفة اليسرى من دجلة فيخترق القرية شاطراً اياها الى شطرين، غربي وشرقي ، ثم يجري شرقاً حتى ينتهي الى الاهوار . وتدل الآثار المبعثرة على الجانب الايمن من هذا النهر ان القرية كانت تمتد حوالي الكيلومتر على محاذاة ذلك الجانب من النهر .

أما «السيد احمد الرفاعي» المتقدم ذكره[2] فلا يزال قبره يزار وهو يقع وسط

---

(١) ذكره ابن الفوطي في كتابه « الحوادث الجامعة » وقال انه كان في مبدأ أمره مدرساً في المدرسة البشيرية ثم نقل الى القضاء وخطب بجامع الخليفة وهو قاض وولي القضاء بعد عز الدين احمد الزنجاني . توفي في شهر رمضان من سنة ٦٧٠ هـ . ودفن في الضفة التي تقابل ضريح الشيخ معروف (راجع ص ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧١) .

(٢) هو الشيخ احمد بن أبي الحسن علي بن يحيى الشهير بالرفاعي الحسيني الانصاري (٥١١ — ٥٧٨ هـ) مؤسس الطريقة الرفاعية . «ولد في قرية حسن من اعمال واسط وتفقه وتأدب في واسط وتصوف فانضم اليه خلق كثير من الفقراء وكان لهم به =

«جزيرة السيد أحمد الرفاعي»، ويتكوّن هذا المزار من قبّة وصحن ومنارة يظهر انها حديثة البناء . وقد انشيء المزار في قرية « أم عبيدة » ، وهي القرية التي لا تزال اطلالها ماثلة للعيان حوالي القبر[1]. ويظهر ان قرية « أم عبيدة » كانت عامرة عندما زارها ابن بطوطة في حوالي أواسط القرن الرابع عشر للميلاد (حوالي منتصف القرن الثامن الهجري) فذكرها في رحلته كما ذكر « قبر السيد أحمد الرفاعي » وهذا نص روايته قال : ـ ولما نزلنا مدينة واسط اقامت القافلة ثلاثاً بخارجها للتجارة فسنح لي زيارة قبر الولي ابي العباس احمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بأم عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين ان يبعث معي من يوصلني اليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطان تلك الجهة وأركبني فرساً له وخرجت ظهراً فبت تلك الليلة بحوش بني أسد[2] ووصلنا في ظهر اليوم الثاني الى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي

= اعتقاد كبير — توفي في قرية أم عبيدة بالبطائح بين واسط والبصرة وقبره الآن محطة رحال الجماهير من سالكي طريقه ... وفي كتاب عجائب واسط لابن المهذب أن عدة خلفاء الرفاعي وخلفائهم بلغ مئة وثمانين الفاً في حال حياته — وجمع بعض كلامه في رسالة سميت « رحيق الكوثر » (راجع « معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف الياس سركيس ، طبعة مصر ص ٩٤٧) .

(١) ذكر ياقوت « أم عبيدة » بقوله انها قرية من البطائح سكنها الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الحسن الرفاعي » .

(٢) يوجد تلان اثريان مابين « واسط » و « السيد أحمد الرفاعي » يعرفان باسم « حويش » ، اولهما يقع في جنوب مدينة واسط على الساحل الايسر من شط الدجيلة على نحو ثمانية كيلومترات منها ، أما التل الآخر فيقع على بعد حوالي خمسين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من واسط ، وعلى بعد حوالي ٢٥ كيلومتراً من السيد أحمد الرفاعي شمالا ، وقد يجوز لنا ان نستنتج من وصف ابن بطوطة المتقدم ان التل الأخير هو من بقايا قرية « حوش بني أسد » التي قضى ابن بطوطة ليلته فيها (راجع مرتسم الجزء الأخير من مجرى دجلة في العهد العباسي) .

قصدنا زيارته وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم بزعم زيارته قبر جده واليه انتهت الشياخة بالرواق » .

٧ ـ الطور الرابع من أطوارات مجرى دجلة

تدل الروايات التاريخية على ان نهر دجلة بقي في طوره الثالث على اتجاهه الذي يسير نحو « واسط » حتى القرن العاشر للهجرة ، وقد ظلت المدن والقرى الاسلامية الواقعة على جانبيه عامرة خلال مدة سيره في هذا الاتجاه الى ان أخذت دجلة تتحول الى المجرى الشرقي الذي يسير نحو العمارة الحالية مرة أخرى عائدة الى المجرى الذي كانت تسير فيه في طورها الثاني خلال الستة قرون الاولى من العهد الميلادي . وقد تم هذا التحول الذي يدخل مجرى النهر في طوره الرابع الأخير في حوالي أواخر القرن الحادي عشر الهجري . وتدل المعلومات التاريخية المتوفرة على أن أول من ذكر ان مجرى دجلة الشرقي الحالي الذي يسير نحو العمارة صالح للملاحة سائح برتغالي مجهول الهوية قام برحلة نهرية بين البصرة وبغداد في سنة ١٥٥٥ م (٩٦٣ هـ) ، وقد دوّن هذا السائح تفاصيل رحلته في كتاب مخطوط في حوزة الميجر م . هيوم (M . Hume)[١] ، ثم جاء ما يؤيد ذلك فيما كتبه جون نيوبري الذي قام بنفس الرحلة في سنة ١٥٨١ م (٩٨٩ هـ) بين بغداد والبصرة[٢] وجون الدريد الذي قام بالرحلة نفسها في سنة ١٥٨٣ م (٩٩١ هـ)[٣] ذلك مما يدل على ان معظم مياه نهر دجلة

---

(١) راجع البحث عن هذا المخطوط في مجلة الآثينيوم الصادرة بتاريخ ٢٣ مارت ١٩٠١ ص ٣٧٣ .

« The Athenoeum, » March 23d, 1901, P. 373.

(٢) راجع كتاب « رحلة جون نيوبري » وعنوانه بالانكليزية : —

« The Voyage of John Newberie » Purchas, His Pilgrimes (Folio, 1625-26) P. 1411, 1412.

(٣) راجع كتاب « رحلة جون الدريد » وعنوانه بالانكليزية : —

« The Vayage of John Eldred » Hakluyt, Principal Navigations (Glascow, 1904), vi, P. 6

كانت تجري آنذاك باتجاه فرع العمارة أي باتجاه المذار والعبدسي . ويستدل مما كتبه نعمة الله الجزائري من أهل واسط في سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) ان مجرى واسط قد تم تحوله نهائياً الى جهة مجرى العمارة في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، اذ ذكر ان « مدينة واسط » هجرت هجراً تاماً آنذاك لنضوب الماء في عقيق النهر المار بها[1] . فاذا اعتبرنا ان مجرى دجلة أخذ يسير نحو واسط في السنة السادسة للهجرة فتكون مدة سيره في هذا الاتجاه ، أي عمره في طوره الثالث ، حوالي الف عام .

وهكذا نرى ان نهر دجلة ظل آلاف السنين تحت نير الطبيعة ، تارة تسوقه نحو « لكش » ، وطوراً تأخذ به صوب العمارة الحالية ، فبعد أن كان في جهة « لكش » في اول عهده تحول شرقاً الى جهة العمارة حوالي أوائل العهد الميلادي ، ثم عاد الى جهة « لكش » في اوائل العهد الاسلامي ، ورجع مرة أخرى الى جهة العمارة في حوالي القرن الحادي عشر الهجري ، وقد بقي منذ ذلك الوقت في هذه الجهة الاخيرة حيث يجري في الوقت الحاضر . ويلاحظ ان مجراه بقي طيلة هذه المدة خاضعاً لمشيئة الطبيعة حتى قيض الله المغفور له جلالة الملك فيصل الاول فجاء بتصريحه الخطير ، ذلك التصريح التاريخي الجري ، « لا مشروع قبل الغراف » ، وكان ان انشئت قناطر الكوت الحالية ، فوطدت دعائم الاستقرار بتنظيم المياه بين المجريين ـ مجرى العمارة الشرقي ومجرى واسط الغربي[2] . وما

(١) راجع كتاب « زهر الربيع » طبعة النجف ص ١١٧ .

(٢) انشئت هذه القناطر بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٩ على مجرى دجلة في نفس مدينة الكوت الحالية لتنظيم المياه بين نهر دجلة الرئيسي الذي يسير نحو العمارة الحالية وبين شط الغراف الذي يسير اليوم في اتجاه مجرى دجلة القديم حين كان يسير صوب واسط . وشط الغراف يتفرع من نهر دجلة الحالي عند مدينة الكوت في شمال صدر مجرى واسط القديم بقليل ويجري موازياً ذلك المجرى من ناحية الغرب حتى ينتهي الى جهة « لكش » ، وهي الجهة التي كان ينتهي اليها مجرى دجلة الرئيسي في العهدين البابلي والعربي كما تقدم شرحه . والغرض من انشاء مشروع قناطر الكوت هو حجز المياه في نهر دجلة لرفع مستواها في موسم الصيهود وسحب الماء الى شط الغراف حسب الحاجة . أما كلفة بناء هذه القناطر فقد بلغ حوالي مليون =

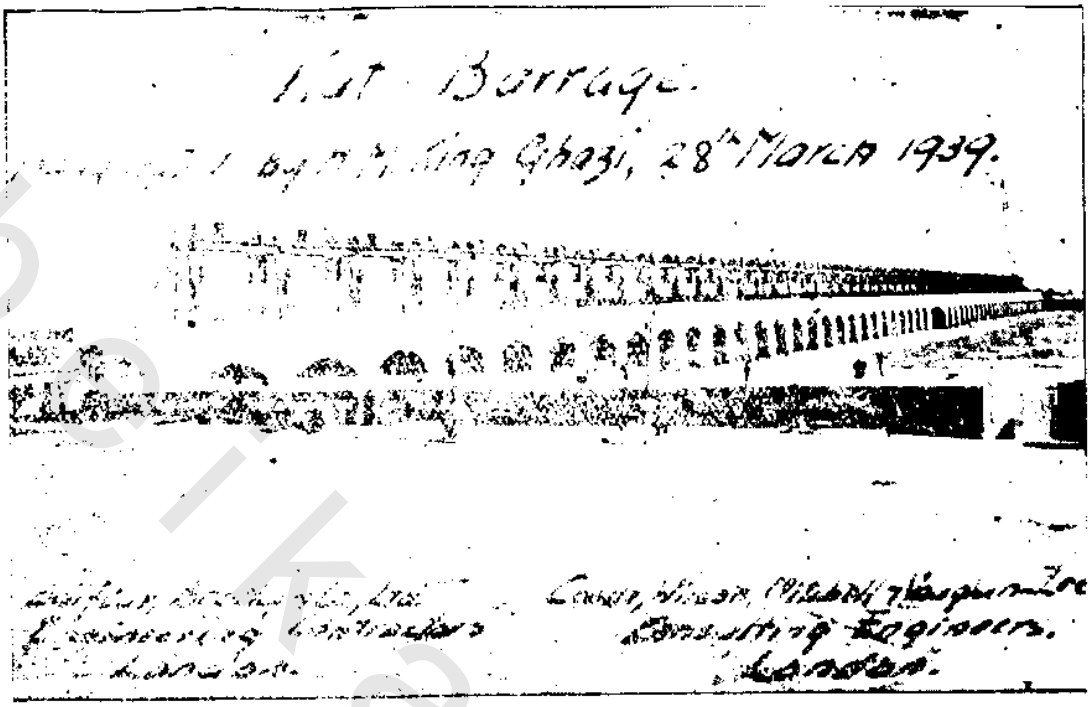

قناطر الكوت الحديثة

قناطر الكوت هذه إلا تجديد لقناطر الخيزران التي كانت قد انشئت في جوار القناطر الحالية على عهد الساسانيين الفرس أولا ، ثم جددت على عهد العرب في زمن خالد بن عبد الله[1]، وها هي تجدد اليوم من قبل حكومة العراق الحديثة لتحقيق نفس الغرض الذي كانت قد انشئت من اجلهقبل اكثر من الف وثلثمائة سنة . ويخال لنا ان الفرق بين قناطر الخيزران القديمة وقناطر الكوت الحديثة ينحصر في كون قناطر الكوت الحديثة بنيت على طراز فني حديث ، وهو احدث طراز عرفه الفن الجديد بحيث تستطيع معه مقاومة أشد تيارات دجلة ، في حين ان قناطر الخيزران القديمة لم تكن من المتانة والضخامة بدرجة تستطيع معهما أن تصمد أمام تيار دجلة مدة طويلة .

= وربع المليون من الدنانير وقد افتتحها رسمياً المغفور له جلالة الملك غازي الأول بتاريخ ٢٨ مارت ١٩٣٩ (راجع التفاصيل عن هذه القناطر في كتابنا « تطور الري في العراق » ص ١٢٨ — ١٣٧ وتصويرها اعلاه).

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذه القناطر في ص ٤٢٨ و ٤٣٠ و ٤٤٥ و ٤٥٢

ك ـ « طسوج النهروان الاسفل »

بحثنا فيما تقدم عن تطور مجرى دجلة في القسم الأخير منه ، وهو القسم الذي كان ينتهي اليه مجرى النهروان ، ونعود الآن الى بحثنا عن « طسوج النهروان الاسفل » ، وهو الطسوج الذي كان يمتد على جانبي النهروان ما بين حوالي الكيلومتر (٢٠٠) من مجراه والدنائب . وكانت ضمن هذا الطسوج عدة فروع تتشعب من جانبي النهر ، الفروع الشرقية تنتهي الى منخفضات الشويجة ، وهي المنخفضات التي كان ينتهي اليها نهر ديالى عندما كان يسير في اتجاه مجرى الروز الحالي[1]، اما الفروع الغربية فكانت تنتهي الى الضفة الشرقية لنهر دجلة . وأول هذه الفروع ثلاثة انهر متقاربة من بعضها تتشعب من شمال الموضع المسمى « تل محارب » الواقع على الضفة الغربية من النهر عند الكيلو متر (١٩٩½) من مجراه ، فتمتد هذه الانهر الى الجنوب في المنطقة الواقعة شرق العزيزية الحالية وتنتهي فروعها الى خرائب « المدينة » الواقعة على مسافة سبعة كيلومترات من جنوب شرقي « تل محارب » . ويشاهد في شمال صدور هذه الانهر الثلاثة مباشرة آثار على ضفتي النهروان لعلها من بقايا احدى القرى الساحلية على مجرى النهروان . ومن جنوب « تل محارب » ينحرف مجرى النهروان الى الشرق قليلاً وبعد ان يسير مسافة قليلة على شكل متموّج في هذا الاتجاه يصل الى التل الأثري المسمى « ايشان المالج » ، وهو تل واسع يقع على الضفة الشرقية من النهروان على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من شرق « تل محارب » ، ثم يستمر النهروان في الاتجاه الجنوبي الشرقي مسافة حوالي ستة كيلومترات فيصل الى احد الفروع الشرقية المهمة ، وهو الفرع المسمى « خور الدرب ». ويوجد في شمال « خور الدرب » على مسافة نحو كيلومترين منه فرع آخر

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمجرى ديالى القديم الذي كان يسير في اتجاه منخفضات الروز في ص ١٥٩ و ٣٨٠ ـ ٣٨٢ .

يتفرع من الضفة الشرقية أيضاً ويمتد هذان النهران الى الشرق نحو منخفضات مجرى ديالى القديم . ويشاهد في المسافة التي بين «ايشان المالح» وصدر النهر الذي يتفرع من شمال « خور الدرب » خرائب كثيرة على ضفتي النهروان يستدل منها على انه كانت هناك قرى كثيرة مزدحمة بالسكان والعمران .

ومن أهم الفروع التي تتشعب من مجرى النهروان في جنوب «خور الدرب» خيوط « قبة الخياط » التي تأخذ من الجانب الشرقي للنهروان في نقطة تقع على حوالي خمسة كيلومترات من صدر « خور الدرب » وانهر « حليفية » الواقعة في جوار الكيلومتر (٢٢٠) من مجرى النهروان . وتتكون انهر « حليفية » هذه من اربعة أنهر اثنان يتشعبان من الضفة اليمنى واثنان من الضفة اليسرى . ويشاهد على أحد النهرين الشرقيين في الموضع المسمى « فويخرة » آثار بناء من الآجر يعتقد انه من بقايا ناظم قديم كان قد انشيء على هذا الفرع لغرض توزيع المياه ، وقد عثرنا في هذا الناظم على مادة مستعملة في اكساء الفتحات الصغيرة التي نعتقد انها قد انشئت في الناظم لغرض ازالة الترسبات من الصدر ، هي أشبه شيء بالاسمنت الحديث من حيث اللون والصلابة ، وقد اودعنا أمر تحليل هذه المادة الى زميلنا الاستاذ السيد شيت نعمان المدير العام للمباحث الصناعية ، فتفضل بتحليلها وفحص تركيبها ، وقد وضع مذكرة بالنتائج التي توصل اليها في هذا الموضوع يجدها القاريء في آخر الكتاب ، وقد كانت هذه المذكرة موضوع محاضرة القاها على أعضاء نادي القلم العراقي في جلسته المنعقدة في يوم ٧ ايلول ١٩٤٨ .

ل ـ مصب النهروان في دجلة

كان النهروان في حوالي أواخر القرن الثالث الهجري ينتهي الى « طسوج النهروان الاسفل » فيصب في الجانب الشرقي لنهر دجلة في جنوب الكوت

الحالية بشيء يسير ، فلما أخذ يضمحل شيئاً فشيئاً قلّت المياه فيـــه بحيث انها لم تصل بعد ذلك الى أبعد من « جبّل » . أما في آخر عهده فكان يقف عند « جرجرايا » فيصب في دجلة في جوارها . وكان ابن سرابيون أول من أشار الى ان النهروان ينتهي الى جنوب الكوت الحالية بقوله : «ان النهروان بعد أن يمر الى اسكاف بني الجنيد وهي مدينة في جانبين والنهر يشقها يمر بين قرى متصلة وضياع مادة الى أن يصب في دجلة أسفل ماذرايا بشيء يسير في الجانب الشرقي » . أما مدينة « ماذرايا » فقد وصفها ياقوت بقوله انها « قرية فوق واسط من اعمال فم الصلح مقابل نهر سابس والآن قد خرب اكثرها اخبرني بذلك جماعة من أهل واسط ... وقد ذكر الجهشياري في كتاب الوزراء قال استخلف أحمد بن اسرائيل وهو يتولى ديوان الخراج للحسن بن عبد العزيز الماذرائي من طسوج النهروان الاسفل » . وقد عين اليعقوبي موقع مدينة « ماذرايا » ما بين « جبّل » و « المبارك » وذكر انها منزل اشراف العجم قديمة »[1] . وقد ايد ابن رسته وصف ابن سرابيون حول مصب النهروان في اسفل جبّل بقوله : « ومخرج النهروان من جبال ارمينية ويمر بباب صلوى ويسمى هناك تامرا ويستمد من القواطيل فاذا صار بباجسرى سمي النهروان ويصب في دجلة اسفل جبّل » .

ويغلب على الظن ان مدينة « ماذرايا » كانت تقع في مكان ما غير بعيد من مدينة الكوت الحالية ولعلها كانت في موضع مدينة الكوت نفسه ، ونميل الى الاعتقاد بان النهر القديم الواقع في جنوب الكوت المعروف اليوم بالسن ، وهو النهر الذي لعب دوراً مهماً في حصار الكوت في الحرب العالمية الاولى ، هو من بقايا ذنائب النهروان في أول أدوار مصبه في دجلة ، كما ان النهر القديم الذي يسير على

---

(١) راجع « البلدان » طبعة النجف ص ٨٣

محاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة في شمـــال الكوت ، وهو النهر الذي يسير في وسطه طريق بغداد ـ الكوت الحالي لمسافة حوالي اثني عشر كيلومتراً ، هو من بقايا ذنائب النهروان أيضاً .

وهناك مايدل على أن النهروان بعد أن تحوّل مجرى دجلة من الجهة الشرقية التي كان يسير فيها نحو «المذار» و«العبدسي» الى الجهة الغربية صوب «لكش» في صدر الاسلام مدّت ذنائبه نحو عقيق دجلة الشرقي لارواء الأراضي الواقعة عليه ، ففتحت عدة فروع من ذنائب النهروان من قرب مصبه في جوار « ماذرايا » وسيّرت على محاذاة مجرى دجلة الشرقي المندرس لارواء أراضيه الزراعية . ولنا في الآثار الحالية لمجرى النهروان وضفافه العالية في ذنائبه عند « السن » من الادلة الكافية على ان النهروان وسّع في زمن العرب في ذلك القسم لشق فروع جديدة منه تسير نحو دجلة العوراء للغرض المذكور[1].

اما حول مصب النهروان بعد ذلك في «جرجرايا» فقد أشار المسعودي الى ذلك في كتاب التنبيه (ص ٥٣) بقوله : « ان النهروان بعد أن يمر بعبرتا وبرزاطيا واسكاف بني الجنيد يصب الى دجلة بناحية جرجرايا» . وقد ثبت ان «جرجرايا» كانت تقع في جوار صدر « نهر الشاعورة » الحالي وان « نهري ابي جلاج » و « سمر » الذين يأخذان من دجلة في هذا المكان ويمتدان في شبه جزيرة « الدبوني » الحالية هما من جملة الفروع المتشعبة من ذنائب النهروان في آخر عهده (راجع المرتسم الذي يبين الجزء الاخير من مجرى دجلة كما كان عليه في العهد العباسي) .

٥ ـ الطسوجات « باردرايا » و « باكسايا »

هذا فيما يختص بطساسيج النهروان الثلاثة ، « طسوج النهروان الاعلى »

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٤٢٥ ـــ ٤٢٦

و « طسوج النهروان الاوسط » و « طسوج النهروان الاسفل » ، اما فيما يختص بالطسوجين « بادرايا » و « باكسيا » فالثابت انهما كانا يقعان في موضعي « بدرة » و « بكسايا » الحاليين الواقعين بالقرب من الحدود الايرانية العراقية، وقد احتفظا باسميهما الاصليين اللذين كانا يعرفان بهما في العهد العباسي . وقد جاء في معجم ياقوت وفي المراصد ان « باكسايا » و « بادرايا » طسوجان كل منهما مجاور للآخر يقعان بين « البندنيجين »[1] ونواحي واسط في أقصى النهروان . وأشار اليعقوبي الى ان الطريق الذي يسلك اليهما من واسط هو الطريق الذي يتشعب من « المبارك » الواقعة على الضفة الشرقية من مجرى دجلة القديم مقابل « قرية نهر سابس »[2] . أما الطريق الحالي الذي يؤدي اليهما فهو الطريق الحالي الذي يتشعب من الكوت ويسير نحو « بدرة » والطريق الذي يتشعب من « شيخ سعد » ويسير الى « باكسايا » ، واذا دققنا موضع قرية « شيخ سعد » بالنسبة الى مجرى دجلة القديم اتضح لنا انها لا تبعد كثيراً عن موضع « المبارك » القديمة (راجع المرتسم الذي يبين الجزء الاخير من مجرى دجلة كما كان عليه في العهد العباسي) .

وقد ظهر لنا ان طسوج « بادرايا » كان يشتمل على منطقة « بدرة » الحالية بما فيها منطقة « زرباطية » و « جصان » الحالية التي تروى من « كلال بدرة »، وقد اشتهر « طسوج بادرايا » منذ القديم حتى يومنا هذا بجودة تمره وعلى الاخص التمر القسب اليابس ، ولعل التمر المعروف الآن باسم « التمر البيدراية »

---

(١) يعتقد ان « البندنيجين » كانت تقع في منطقة مندلي الحالية وقد وصفها ياقوت بقوله انها « بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من اعمال بغداد وقيل ان البندنيجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان بل كل واحدة منفردة لا ترى الاخرى لكن نخل الجميع متصلة واكبر محلة فيها يقال لها باقطنايا وبهـا سوق ودار الامارة ومنزل القاضي ثم بويقيا ثم سوق جميل ثم فلشت » .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بقرية « نهر سابس » في ص ٤٤٩

كان قد سمي منذ القديم بهذا الاسم نسبة الى « بادرايا » وقد وصف ياقوت «بادرايا» بقوله انها «طسوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكسايا بين البندنيجين ونواحي واسط منها يكون التمر القسب اليابس الغاية في الجودة واليبس ويقال انها أول قرية جمع منها الحطب لنار ابراهيم عليه السلام». أما طسوج «باكسايا» فيقع في منطقة « بكسايه » الحالية التي تروى من النهر المسمى « نهر وادي » ، وهو النهر الذي ينبع في جبال ايران فيمر ببكسايه ومن ثم ينتهي الى دجلة فيصب فيها في نقطة تقع على بعد حوالي ١٥ كيلومتراً من شمال قرية « شيخ سعد » الحالية ، ويعرف هذا النهر أيضاً باسم « الجبّاب » عند مصبه في دجلة.

وقد ذكر ابن خرداذبة ان الطسوجين « بادرايا » و « باكسايا » يقسمان الى سبعة رساتيق، وبيادرها مائتان وسبعة بيادر تشتمل على أربعة آلاف وسبعمائة كر من الحنطة وخمسة آلاف كر من الشعير ، هذا عدا ثلثمائة ألف وثلاثين ألفاً من الورق .